# دليل
# المسافر إلى المجرة
# الجزء الرابع

تصميم الغلاف

عبد العزيز محمد

# دليل
# المسافر إلى المجرة

رواية

تأليف : دوغلاس آدامز
ترجمة : علي ريشة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٢٢م

**العنوان الأصلي للكتاب:**

**The Hitchhiker’s Guide to the Galaxy**

**الكاتب: Douglas Adams**

**الناشر: Pan Box، 1979**

**المترجم: علي ريشة**

الآراء والمواقف الواردة في الكتاب هي آراءُ المؤلِّفِ ومواقِفُهُ ولا تعبِّر **(**بالضرورةِ**)** عن آراء الهيئة العامة السورية للكتاب ومواقفها**.**

# الجزء الرابع

**إلى اللقاء، وشكراً لأجل كل السمك**

# مُقَدِّمَة

بعيداً في المكان الضارب في التّخلف والمهمش من النّهاية الغربية غير المأهولة من ذراع المجرة تقع شمس صفراء صغيرة تافهة.

يدور حولها على مسافة تقدر باثنين وتسعين مليون ميل كوكب صغير أزرق وأخضر غير مهم على الإطلاق، تتميز أشكال الحياة عليه، والمنحدرة من القردة، بأنها متخلفة إلى درجة أنها لا تزال تعتقد بأن السّاعات الرّقمية فكرة أنيقة.

مشكلة هذا الكوكب هي، أو بالأحرى كانت كالتّالي: في أغلب الوقت كان معظم النّاس على سطحه غير سعداء.

ولقد اقتُرح العديد من الحلول لهذه المشكلة، لكنّها كانت تتركز حول حركة قطع خضراء صغيرة من الورق، الأمر الذي كان بحد ذاته غريباً لأن هذه القطع الورقية لم تكن تعيسة بذاتها.

وهكذا استمرت المشكلة، فكان كثير من النّاس وضيعين، وكثير منهم كانوا بائسين، حتى أولئك الذين يمتلكون ساعات رقمية.

ازداد اعتقاد الكثيرين منهم بالرأي القائل إنهم اقترفوا خطأً جسيماً بنزولهم من على الأشجار في المقام الأول، وذهب بعضهم إلى أن حتّى الأشجار كانت فكرة سيئة، وأنه ما كان ينبغي لأحد أن يترك المحيطات.

في يوم خميس، بعد ألفي عام تقريباً من صلب رجل على شجرة لقوله إن من الرائع أن يكون المرء طيباً مع الناس في سبيل التغيير، أدركت فتاة تجلس وحدها في مقهى صغير في ريكيانسورث الخطأ الذي بقي كل ذلك الوقت، لقد عرفت في النّهاية كيف يمكن للعالم أن يكون مكاناً سعيداً وجيداً. نعم، هذه المرة كانت صحيحة، يمكن تطبيقها، ولا داعي لأي أحد أن يُصلب على أي شيء.

إنما، ويا للأسف، قبل أن تتمكّن من الوصول إلى هاتف لتخبر أي أحد بذلك، تم تدمير الأرض على نحو غير متوقع للإفساح في المجال لبناء معبر فضائي، وضاعت الفكرة، على ما يبدو إلى الأبد.

هذه قصتها.

# الفصل الأول

خيم الظلام باكراً في تلك الليلة، الأمر الذي كان طبيعياً في ذلك الوقت من السنة. كان الجو بارداً وعاصفاً، الأمر الذي كان طبيعياً.

بدأت السماء تمطر، الأمر الذي كان بالتحديد طبيعياً.

هبطت سفينة فضائية، الأمر الذي لم يكن طبيعياً.

لم يكن هنالك أحد ليراها باستثناء بعض الحيوانات رباعية الأرجل مذهلة الغباء، التي لم يكن لديها أدنى فكرة عمّا عليها فعله بالسفينة، أو إن كان عليها أن تفعل أي شيء بها، أو أن تأكلها، أو أي شيء. لذا فعلت ما تفعله تجاه أي شيء، وهو أن تهرب منها وتحاول الاختباء تحت بعضها بعضاً، الأمر الذي لم ينجح قط.

انزلقت من الغيوم، وهي تبدو بأنها متوازنة بشعاع ضوء وحيد.

من مسافة بعيدة كان سيصعب عليك ملاحظتها عبر غيوم عاصفة الرعد والبرق، لكنها كانت جميلة على نحو غريب لو رأيتها عن قرب، كانت مركبة رمادية ذات شكل منحوت بأناقة، وصغيرة نوعاً ما.

بالطبع فإن أحداً لن تكون لديه أدنى فكرة عن الحجم أو الشكل الذي ستؤول إليه مختلف المخلوقات، لكن إن أخذت اكتشافات آخر تقرير لجنسوس النصف- مجرّي كأي نوع من الأدلة الدقيقة للمعدلات

الإحصائية فإنك في الأغلب ستخمّن أن المركبة ستتسع لنحو ستة أشخاص، وستكون مصيباً.

إنما، من المرجّح أن تكون قد خمنت ذلك في أي حالة، إن تقرير جنسوس، كمثله من الاستقصاءات، قد كلّف مبلغاً طائلاً من المال ولم يخبر أي أحد أي شيء لا يعرفه، ما عدا أن كل شخص في المجرّة لديه **(٢.٤)** من الأرجل ويمتلك ضبعاً. وبما أن هذا ليس صحيحاً إطلاقاً توجب في النهاية أن يتم التخلص من الأمر برمّته.

انحدرت المركبة بهدوء عبر المطر، وبدت أضواء التشغيل الباهتة فيها أنها تلفّها بأقواس قزح حسنة المظهر. همهمت بهدوء كبير همهمة ازداد صوتها وعمقها تدريجياً مع اقترابها من الأرض التي أصحبت عبارة عن نبضات ثقيلة على ارتفاع ستة إنشات.

في النهاية، حطت وأصبحت هادئة.

فُتِح ممر، وامتدت من تلقاء نفسها سلسلة من الدرجات.

ظهر ضوء في المدخل، ضوء ساطع يتدفق من الداخل إلى الليل الماطر، وتحركت بعض الظلال في الداخل.

ظهر شخص طويل في الظلال نظر حوله، فأجفل، أسرع إلى أسفل الدرجات وهو يحمل كيس تسوّق ضخماً تحت ذراعه.

استدار ولوّح للسفينة تلويحة حادّة، كان المطر قد راح يتدفق عبر شعره.

صاح: «شكراً، شكراً جزيلاً»...

قاطعه صوت رعد حاد. نظر إلى الأعلى بقلق، وكرد فعل على فكرة مفاجئة بدأ يتفحص داخل كيس التسوق البلاستيكي الكبير بسرعة، الذي اكتشف الآن أنه مثقوب في أسفله.

كانت على الكيس حروف كبيرة مطبوعة على جانبه تقول (من قبل أي أحد يمكنه فك تشفير الأبجدية السينتاورية): «السوق الحرّة، معبر براستا، ألفا سينتاوري. كن مثل الفيل الثاني والعشرين ذي القيمة المستعرة في الفضاء – انبح!»

صاح الشخص ملوّحاً للسفينة: «انتظروا!»

كانت الدرجات التي بدأت تطوي نفسها بنفسها عائدة عبر البوابة قد توقفت، تمددت من جديد، سامحة له بالدخول مجدداً.

ظهر مجدداً بعد ثوان عدة يحمل منشفة رثة ومبتذلة وأقحمها في الكيس.

لوّح مجدداً، ورفع الكيس تحت ذراعه، وبدأ يركض كي يلتجئ تحت بعض الأشجار في حين كانت السفينة الفضائية، من خلفه، قد بدأت تصعد.

انتقل البرق بسرعة عبر السماء وجعل الشخص يتوقف لوهلة، ومن ثم يسرع متقدماً، مصححاً مساره ليبتعد قدر المستطاع عن الأشجار. تحرك بسرعة عبر الأرض، منزلقاً هنا وهناك، دافعاً بنفسه إلى الأمام بوجه المطر الذي كان يهطل الآن بكثافة متزايدة، كأنه يُسحب من السماء.

خاضت قدماه في الوحل، هدر الرعد فوق التلال، عبثاً مسح المطر من على وجهه ومضى متعثراً.

المزيد من الأضواء.

ليست برقاً هذه المرة، بل أضواء أكثر انتشاراً وخفتاناً تراقصت ببطء فوق الأفق وتلاشت.

توقف الشخص قليلاً حين رؤيتها، ومن ثم ضاعف من خطاه، متجهاً مباشرة نحو نقطة الأفق التي ظهرت فيها الأضواء.

أصبحت الأرض الآن شديدة الانحدار ومائلة نحو الأعلى، وبعد مئتي أو ثلاثمئة ياردة أخرى قادته في النهاية إلى عائق. توقف الشخص ليعاين الحاجز ومن ثم رمى الكيس خلفه قبل أن يصعد هو إلى فوق الحاجز.

لم يكد الشخص يلامس الأرض على الجهة الأخرى، أتت آلة سير منجرفة من خلال المطر باتجاهه وأضواؤها تنبعث عبر جدار الماء. انكمش الشخص مع اندفاع آلة السير باتجاهه. كانت منخفضة، بصلية الشكل، كحوت يتزلج بنعومة، رمادية، مستديرة وتتحرك بسرعة مرعبة.

على نحو غريزي رفع الجسم يديه ليحمي نفسه، لكن لم تصدمه سوى غمرة من المياه مع مرور الآلة إلى جانبه مبتعدة في ظلام الليل.

أضاءها لفترة وجيزة بصيص آخر من البرق يعبر السماء، ما سمح للشخص المبلل على طرف الطريق في جزء من الثانية أن يقرأ لافتة صغيرة على مؤخرة الآلة قبل أن تختفي.

لدهشة الشخص المرتابة والواضحة رأى مكتوباً على اللافتة: «سيارتي الأخرى هي أيضاً بورش».

# الفصل الثاني

كان روب ماكينا وغداً بائساً، وكان يعرف ذلك لأنه قابل العديد من الناس الذين أشاروا إليه بذلك على مدى السنوات، ولم ير من داع ليخالفهم الرأي ما عدا السبب الواضح في أنه كان يحب أن يخالف الناس رأيهم، بالتحديد الناس الذين لا يحبهم، والذين، بحسب آخر إحصائية، كانوا الجميع.

تنهد وأنزل من مستوى علبة التروس في الشاحنة.

كانت التلة قد أخذت في الانحدار، وكانت شاحنته مثقلة بمتحكمات أنابيب التدفئة المركزية الدنماركية.

لم يكن الأمر أنه ميال بصورة طبيعية لأن يكون فظاً جداً، في الأقل تمنى ألا يكون كذلك. كل ما في الأمر أن المطر قد ثبط من معنوياته، المطر دائماً.

وفي سبيل التغيير، كانت تمطر الآن.

كان يكره بالتحديد نوعاً محدداً من المطر، تحديداً عندما يقود سيارة. كان لديه رقم لهذا النوع. كان المطر من النوع ١٧.

كان قد قرأ في مكان ما أنه لدى الأسكيمو ما يفوق المئتي كلمة مختلفة للثلج، ومن دونها كان يمكن لمحادثاتهم أن تصبح رتيبة جداً. لذا فقد ميّزوا

بين الثلج الرقيق والثلج السميك، الثلج الخفيف والثلج الثقيل، الثلج الطيني، الثلج الجاف، الثلج الذي يأتي مع هبات الرياح، الثلج الذي يأتي منجرفاً، الثلج الذي يأتي على أسفل حذاء جارك فوق أرضية كوخك الجليدي النظيفة، ثلوج الشتاء، ثلوج الربيع، الثلوج التي تتذكرها من طفولتك، والتي كانت أفضل بكثير من أي من الثلوج الحديثة، الثلج الناعم، الثلج الخفيف، ثلج التلة، ثلج الوادي، الثلج الذي يتساقط في الصباح، الثلج الذي يتساقط في المساء، الثلج الذي يتساقط فجأة عندما تكون خارجاً لصيد السمك، والثلج الذي بغض النظر عن كل جهودك في تدريبها، فإن كلاب الهسكي قد بالت عليه.

كان لدى روب ماكينا مئتان وواحد وثلاثون نوعاً مختلفاً من الأمطار، مدوّنة في كتابه الصغير، ولم يكن يحب أياً منها.

أنزل سرعة أخرى، فرفعت الشاحنة سرعة دوران محركها، ودمدمت بشكل مستريح حول كل متحكمات أنابيب التدفئة المركزية الدنماركية التي كانت تحملها.

منذ أن ترك الدنمارك بعد ظهر اليوم الفائت كان يمر في الأنواع ٣٣ **(**نقرات خفيفة من الرذاذ الذي جعل الطرقات زلقة**)**، ٣٩ **(**لطخات غزيرة**)**، ٤٧ حتى ٥١ **(**رذاذ عمودي خفيف إلى منحرف بشدة خفيف إلى رذاذ معتدل ويشتد**)**، ٨٧ و٨٨ **(**شكلان مميزان على نحو ممتاز من المطر الغزير المدرار العمودي**)**، ١٠٠ **(**ما بعد المطر الغزير، عصفة ريح، باردة**)**، كل أنماط العواصف البحرية بين ١٩٢ و٢١٣ في آن واحد، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧ **(**هبات باردة لطيفة ومعتدلة، الطرق الرخيم والمنتظم الذي

تتعرض له المقطورة)، ١١ (قطيرات منسّمة)، والآن أقل الأنواع المفضلة لديه، ١٧.

كان المطر من نوع ١٧ عبارة عن طقطقات قذرة تضرب على زجاجه الأمامي بقوة كبيرة بحيث لم يكن هنالك فرق فيما إذا كانت مسّاحات الزجاج تعمل أو لا.

اختبر هذه النظرية بإيقاف المسّاحات لوهلة، لكن اتضح أن الرؤية ازدادت سوءاً على نحو أكبر بكثير. ولما شغّل الماسحات من جديد فشلت في تحسين الرؤية.

في الواقع، اضطربت إحدى شفرات المسّاحات وراحت تخفق.

سويش سويش سويش فلوب سويش سويش فلوب سويش سويش فلوب سويش فلوب سويش فلوب فلوب فلاب، وانقشطت.

ضرب مقوده، ركل الأرضية، خبط مشغل أشرطة الكاسيت حتى بدأ فجأة بتشغيل باري مانيلو، خبطه حتى توقف مجدداً، وشتم وشتم وشتم وشتم وشتم.

في تلك اللحظة بالذات، التي كان فيها غضبه يصل إلى ذروته، ارتسم بنعومة في الأضواء الأمامية لشاحنته شخص على جانب الطريق، مرئي بصعوبة عبر المطر.

شخص هزيل موحل، يرتدي ملابس غريبة، مبتل أكثر من قندس في غسالة ويستوقف سيارات.

فكّر روب ماكينا في نفسه: «يا للحقير البائس،» وقد أدرك أن هنالك شخصاً أحق منه في الشعور بأنه عومل بقسوة أكثر، «لا بد من أن البرد تمكن

من عظامه. من الغباء أن تستوقف السيارات خارجاً في ليلة قذرة كهذه. كل ما لديك هو البرد، والبلل، وشاحنات تعبر برك الماء وتبللك».

هزّ رأسه باشمئزاز، تنهد تنهيدة أخرى، وأدار المقود، وضرب سطحاً كبيراً من الماء مباشرة.

فكر في أعماق نفسه: «هل فهمت ما أعنيه؟» وهو يحرث الماء بسرعة؛ «لديك بعض الأوغاد بحق على الطريق».

بعد لحظة أو لحظتين، كان انعكاس المسافر المتطفل في مرآته الخلفية قد ترشرش بالماء وتبلل إلى جانب الطريق.

للحظة سرّه الأمر. وبعد لحظة أو اثنتين ساءه أن سرّه الأمر. ومن ثم سرّه أن ساءه أن سرّه الأمر، ومن ثم تابع راضياً في ظلام الليل.

في الأقل، سبّب له الأمر الشعور بالرضا بعد أن تمكنت سيارة البورش تلك من تجاوزه بعد أن كان يسد الطريق عليها باجتهاد في آخر عشرين ميلاً.

ومع انطلاقه، انجرّت سحب الأمطار في السماء خلفه، لأن روب ماكينا، وعلى الرغم من عدم معرفته بالأمر، كان إله المطر. كل ما يعرفه كان أن أيام دوامه كانت بائسة، وأنه أمضى سلسلة متوالية من العطل الرديئة. وكل ما عرفته السحب هو أنها أحبته وأرادت أن تكون إلى جانبه، لترعاه وتسقيه.

# الفصل الثالث

لم يكن إلها أمطار يقودان الشاحنتين التاليتين، لكنهما فعلتا الشيء نفسه تماماً.

مشى الشخص بتثاقل، أو بالأحرى خاض في الماء، قُدُماً حتى بدأت التلّة من جديد وأضحت صفحة الماء الخطرة في الخلف.

بعد فترة قصيرة بدأ المطر يخفّ وظهر القمر لوهلة من خلف الغيوم.

مرت سيارة رينو، وأطلق سائقها إشارات جنونية ومعقدة للشخص السائر بتثاقل ليوحي له بأنه كان سيكون سعيداً في الأحوال الطبيعية بأن يقلّ الشخص، لكنه لم يكن في استطاعته هذه المرة لأنه لم يكن ذاهباً في الاتجاه الذي يريد الشخص أن يذهب به، أياً كان ذلك الاتجاه، وأنه متأكد من أن الشخص سيتفهّم.

ختم إشاراته بإشارة إبهام مرفوع ببهجة كأنه يقول إنه تمنى أن يكون شعور الشخص حسناً حيال كونه برداناً ومبللاً بشكل شبه كامل، وبأنه سيقلّه في المرة القادمة عندما يكون في الأرجاء.

تابع الشخص بخطا متثاقلة، مرت سيارة فيات إلى جانبه وفعلت كما فعلت الرينو تماماً.

مرت سيارة ماكسي في الجانب الآخر من الطريق وأومضت أضواءها على الشخص الذي يكدح ببطء، لم يكن معروفاً إطلاقاً ما إذا كان على ذلك أن يوصل «مرحباً» أو «عذراً، نحن ذاهبون في الطريق الآخر» أو «هيه انظر، هنالك شخص ما تحت المطر، يا له من أخرق». دلّت قطعة خضراء موضوعة على أعلى الزجاج أنه بغض النظر عن الرسالة، فإنها قادمة من ستيف وكارولا.

كان من الواضح أن العاصفة قد خمدت الآن، وما بقي من رعد كان يهدر فوق التلال الأبعد، كرجل يقول: «وشيء آخر»... بعد عشرين دقيقة من اعترافه بخسارته في الجدال.

أضحى الهواء أنقى الآن، الليلة باردة، وانتقل الصوت على نحو أفضل.

وصل حالياً الشخص الضائع، المرتجف بشكل يرثى له، إلى مفترق طرق حيث انعطف طريق جانبي إلى اليسار. انتصب عمود للدلالة في الجهة المقابلة من المنعطف، وإليه أسرع الشخص على نحو مفاجئ وتفحصه بفضول محموم، ولم يبتعد عنه إلا مع مرور سيارة فجأة.

وأخرى.

مرت الأولى على نحو خاطف متجاهلة إياه تماماً، أما الثانية فأومضت بطريقة لا معنى لها. مرت سيارة فورد كورتينا وضغطت على مكابحها.

حزم الشخص كيسه إلى صدره وهو يتمايل من الدهشة، وأسرع إلى الأمام باتجاه السيارة، لكن في اللحظة الأخيرة أدارت الكورتينا دواليبها في الماء وتحركت بسرعة على طول الطريق على نحو ظريف.

تباطأ الشخص حتى توقف، ووقف هناك، ضائعاً ومكتئباً.

مصادفة، في اليوم التالي دخل سائق الكورتينا المستشفى لاستئصال زائدته الدودية، وبسبب تشويش مضحك استأصل الجرّاح رجله عن طريق الخطأ، وقبل أن يتمكن من استئصال الزائدة الدودية، تطور التهاب الزائدة الدودية إلى حالة خطرة على نحو مضحك من التهاب الصفاق، وتمت العدالة، بطريقتها الخاصة.

تابع الشخص المشي بتثاقل.

توقفت سيارة ساب إلى جانبه.

نزل زجاج نافذتها وقال صوت ودود منها: «هل أتيت من بعيد؟»

استدار الشخص باتجاهها. توقف وأمسك بمقبض الباب.

كان الشخص، والسيارة، ومقبض بابها جميعهم على كوكب يدعى الأرض، كوكب يشتمل مدخله في دليل المسافر إلى المجرة على كلمتين «غير مؤذٍ في الغالب».

كان الرجل الذي كتب هذا المدخل يدعى فورد بريفيكت، وفي هذه اللحظة بالذات كان أبعد ما يكون عن كوكب غير مؤذٍ، يجلس في حانة أبعد ما تكون عن كونها غير مؤذية، ويتسبب بالمشكلات بإهمال.

# الفصل الرابع

لم يكن لمراقب تقليدي أن يعرف إن كان السبب أنه مخمور، مريض، أو مجنون على نحو مخيف، وبالطبع لم يكن هنالك مراقبون تقليديون في حانة 'أولد بينك دوغ' في الجانب الجنوبي السفلي من مدينة 'هان دولد' لأنها لم تكن من الأماكن التي تستطيع أن تفعل فيها الأمور تقليدياً إن أردت البقاء في قيد الحياة. لذا، فإن أي مراقبين في المكان سيكونون مراقبين وضيعين، متيقظين، مدججين بالسلاح، ويعانون من وخز مؤلم في الرأس، ما يدفعهم إلى القيام بأمور مجنونة عندما يراقبون أشياء لا تعجبهم.

خيم على المكان هدوء بغيض، كالهدوء الذي تتسبب به أزمة صواريخ.

حتى إن الطائر ذا المظهر الشرير، الذي كان يجثم على قضيب في الحانة، توقف عن الصياح بأسماء وعناوين القتلة المأجورين المحليين، إذ إن تلك كانت خدمة قدمها مجاناً.

كان فورد بريفيكت محط جميع الأنظار، في حين بعض من تلك الأنظار كان دهشاً.

إذ إنه كان يقامر بحياته متهوراً اليوم، تحديداً عن طريق محاولة تسديد فاتورة مشروبات بحجم ميزانية تسليح دفاعية صغيرة بوساطة بطاقة 'أمريكان إكسبريس'، التي لم تكن مقبولة في أي مكان من الكون المعروف.

سأل بنبرة مرحة: «ما الذي يقلقك؟ تاريخ الصلاحية؟ ألم يسبق لكم يا رفاق أن سمعتم بالنسبية الجديدة هنا؟ هنالك مجالات واسعة من الفيزياء التي يمكنها أن تتكفل بهذه الأمور. تأثيرات توسيع الوقت، الإحداثيات الزمانية»...

قال الرجل الذي وُجِهَت إليه هذه التعليقات: «لسنا قلقين حيال تاريخ الصلاحية،» إذ إنه كان ساقياً خطراً في مدينة خطرة. كان صوته خريراً خفيضاً وناعماً، كالخرير الخفيض والناعم الذي يصدره فتح حافظات الصواريخ العابرة للقارات. نقرت يد تشبه ضلع لحم برفق على الطاولة فبعجتها برفق.

قال فورد: «حسناً، هذا جيد،» وهو يحزم حقيبته استعداداً للمغادرة.

امتد الإصبع الناقر وحط برفق على كتف فورد بريفيكت، فمنعه من المغادرة.

على الرغم من أن الإصبع كانت متصلة بيد كاللوح، وأن اليد كانت متصلة بذراع كالمضرب، فإن الذراع لم تكن متصلة بأي شيء على الإطلاق، سوى الإحساس المجازي بأنها متصلة بالحانة التي كانت منزلها بولاء شديد. كانت فيما مضى متصلة على نحو أكثر منطقية بمالك الحانة الأصلي، الذي أورثها على نحو غير متوقع للعلوم الطبية في حين كان على فراش الموت.

قررت العلوم الطبية أنه لم يعجبها منظر اليد، لذا أعادت توريثها إلى حانة 'أولد بينك دوغ'.

الساقي الجديد لم يكن يؤمن بأي شيء جنوني كالخوارق أو الأشباح، كان يعرف كيف يميز الحليف المفيد إن هو رأى واحداً. جلست اليد إلى الطاولة، أخذت الطلبات، وقدمت المشروبات، وتعاملت على نحو قاتل مع الناس الذين أوحى سلوكهم بأنهم يريدون أن يُقتَلوا. جلس فورد بريفيكت ساكناً.

كرر الساقي: «لسنا قلقين حيال تاريخ الصلاحية،» وكان راضياً هذه المرة كونه استحوذ على انتباه فورد بريفيكت الكامل، «ما يقلقنا هو قطعة البلاستيك كاملة».

قال فورد: «ماذا؟» وقد بدا أنه فوجئ قليلاً.

قال الساقي: «هذه،» وهو ممسك بالبطاقة كأنها سمكة صغيرة قد حلقت روحها منذ ثلاثة أسابيع إلى الأرض حيث السمك سعيدٌ إلى الأبد، «غير مقبولة».

تفكّر فورد لوهلة فيما إن كان سيعلن حقيقة أنه لا يملك أي وسيلة أخرى للدفع، لكنه قرر في تلك اللحظة أن يستمر. أطبقت اليد التي لا جسد لها على كتفه برفق لكن على نحو وطيد بين إصبعها وإبهامها.

قال فورد: «لكنك لا تفهم،» وقد تحول أسلوبه التعبيري ببطء من الفجأة القليلة إلى عدم التصديق التام، «هذه بطاقة الأمريكان إكسبريس. إنها أفضل طريقة لدفع الفواتير على الإطلاق. ألم تقرأ رسائلهم الإعلانية؟»

بدأت النبرة المرحة لصوت فورد تزعج أذني الساقي. بدت كشخص يعزف بقوة على المزمار في أثناء مرور كئيب لقداس موتى الحرب.

بدأت إحدى عظام كتفي فورد تحتك بعظمة أخرى من كتفه بطريقة ظهر فيها أن اليد قد تعلمت مبادئ الألم من مقوّم عظام محترف. لذا تمنى فورد أن ينتهي من الأمر قبل أن تجعل اليد عظمة من عظام كتفه تحتك بعظمة من قسم مختلف من جسمه. ولحسن الحظ، فإن الكتف التي أُمسك بها لم تكن الكتف التي علّق عليها حقيبته.

دفع الساقي بالبطاقة عبر الطاولة إلى فورد، وقال بهمجية مكتومة: «لم يسبق لنا أن سمعنا بهذا الشيء».

لم يكن ذلك مفاجئاً جداً.

ففورد لم يحصل عليها سوى عن طريق خطأ حاسوبي جسيم في نهاية رحلته ذات الخمسة عشر عاماً، التي قضاها على كوكب الأرض. كم كان جسيماً، ذلك ما علمته شركة الأمريكان إكسبريس بسرعة، ولم تُكتم مطالب قسم قبض الديون الخاص بالشركة، التي كانت ترتفع نغمتها على نحو متزايد إلا بالتفجير غير المتوقع لكامل الكوكب بوساطة القوغونيين، ليفسحوا في المجال لبناء ممر فضاء فوقيّ.

لقد احتفظ بها منذ ذلك الوقت لأنه رأى أن من المفيد حمل نوع من العملة لا يقبله أحد.

قال: «ائتمان؟ آاااه»...

جرت العادة أن تكون هاتان الكلمتان مقترنتين ببعضهما في حانة 'أولد بينك دوغ'.

لهث فورد قائلاً: «اعتقدت أن هذه منشأة راقية»...

نظر حوله إلى فسيفساء السفاحين، القوادين، ومديري شركات التسجيل الذين تسللوا إلى حواف البقع الضوئية الباهتة التي أظهرت الظلال المعتمة لتجاويف الحانة الداخلية. كانوا جميعهم ينظرون على نحو متعمّد إلى أي اتجاه باستثناء اتجاهه، يتابعون بحذر بقية خيوط محادثاتهم السابقة عن الجرائم، وحلقات المخدرات، واتفاقيات إنتاج الموسيقا. كانوا يعلمون ما سيحصل الآن، ولم يريدوا أن يشاهدوا كي لا يخرّب المشهد مزاجهم في الشرب.

همس الساقي بهدوء في وجه فورد بريفيكت: «سوف تموت يا فتى،» وكان البرهان على كلامه إلى جانبه. لقد كانت للحانة واحدة من تلك اللوحات التي كُتِبَ عليها: «رجاءً لا تستفسر عن الائتمان لأن لكمة على الفم ستضايقك،» لكن في سبيل الدقة التامة حُورت العبارة إلى «رجاءً لا تستفسر عن الائتمان لأن تمزيق عنقك من قبل طائر متوحش حين تقوم يد مفصولة عن الجسد بتحطيم رأسك على الطاولة سيضايقك». ومع ذلك فإن هذه العبارة كانت متداخلة على نحو جعل الملاحظة غير قابلة للقراءة، وفي كل الأحوال، لم يعد لها التأثير نفسه، لذا أُنزلت اللوحة مجدداً. كان الشعور السائد أن القصة ستمضي على سجيتها، وهذا ما فعلته.

قال فورد: «دعني أنظر إلى الفاتورة مجدداً». التقطها وعاينها بتمعّن تحت أنظار الساقي الحاقدة، وأنظار الطائر الحاقدة مثلها، الذي كان يحفر أخاديد عميقة على سطح الطاولة بمخالبه.

كانت قطعة طويلة جداً من الورق.

يوجد في نهايتها رقم بدا كأنه واحد من الأرقام التسلسلية التي يمكنك أن تجدها في الجانب السفلي من مجموعة الستيريو التي دائماً تتطلب وقتاً طويلاً لنسخها على وثيقة التسجيل، لكنه أمضى كل النهار في الحانة،

وقد شرب كثيراً من الأشياء التي تحتوي على فقاعات في داخلها، واشترى كمية هائلة من الأقداح لكل القوادين، والسفاحين، ومديري شركات التسجيل الذين على حين غرة لم يتمكنوا من تذكر من يكون.

بلع ريقه بهدوء، وربت على جيوبه. وكما يعلم فلم يكن فيها شيء.

وضع يده اليسرى برقة، لكن بثبات، على السطح نصف المفتوح لحقيبته. في حين جددت اليد المفصولة عن الجسد ضغطها على كتفه اليمنى.

قال الساقي: «كما ترى،» وقد بدا أن وجهه يرتجف على نحو شرير في وجه فورد، «فأنا لدي سمعة لأحافظ عليها. فهمت ذلك، أليس كذلك؟»

فكّر فورد، هذه هي اللحظة. لم يتبق شيء سواها. لقد أطاع القوانين، لقد حاول بصدق أن يدفع فاتورته، لكن محاولته رُفِضَت، لقد كان يعرض حياته للخطر الآن.

قال بهدوء: «حسناً، إن كانت سمعتك»...

وبلمح البصر، فتح محفظته ورمى منها على الطاولة نسخته من دليل المسافر إلى المجرة والبطاقة الرسمية التي تقول إنه باحث ميداني للدليل، وإنه من غير المسموح له القيام بما يقوم به الآن إطلاقاً.

- «هل تريد أن تعطي رأيك؟»

توقف وجه الساقي عن الارتجاف في منتصف رجفة، ومخالب الطير توقفت في منتصف أخدود، وببطء أفلتت اليد قبضتها.

قال الساقي بهمسة تكاد تكون مسموعة بين شفتيه الجافتين: «ذلك سيكون مناسباً يا سيدي».

# الفصل الخامس

إن دليل المسافر إلى المجرة أداة قوية. وبالتأكيد، فبسبب ضخامة تأثيرها، توجّب وضع قواعد صارمة من قبل فريق التحرير لتجنب سوء الاستخدام. لذا فليس من المسموح لأي من باحثيه الميدانيين أن يقبلوا أي نوع من الخدمات، التخفيضات، أو معاملة مميزة من أي نوع مقابل خدمات تحريرية إلا إذا:

أ) قد حاولوا بصدق أن يدفعوا ثمن خدمة بطريقة طبيعية.

ب) إن كانت حيواتهم معرضة للخطر، أو

ج) إن هم أرادوا ذلك بحق.

وبما أن تنفيذ القاعدة الثالثة اقتضى إعطاء المحرر حصة، فقد فضّل فورد على الدوام أن يعبث بالقاعدتين الأوليين.

خطا خارجاً إلى الشارع وهو يمشي برشاقة.

كان الجو خانقاً، لكنه أحبه لأنه كان جو مدينة خانقاً، مفعماً بالروائح الكريهة، والموسيقا الخطرة، والأصوات البعيدة لقبائل الشرطة المتحاربة.

حمل حقيبته بحركة من التأرجح الخفيف الذي يسمح له بتوجيه ضربة قوية لأي أحد قد يحاول أن يأخذها منه دون أن يطلب. لقد كانت تحتوي على كل ممتلكاته التي لم تكن كثيرة في هذه اللحظة.

مالت سيارة ليموزين في أسفل الشارع وهي تراوغ بين أكوام القمامة المشتعلة، فأخافت حيواناً معمراً من حيوانات القطعان كان يطوف خلسة، فراح يصرخ مذعوراً وتعثر عند نافذة حانوت للعلاج بالأعشاب، فأطلق صفارة إنذار، وتخبط إلى أسفل الطريق، وتظاهر بأنه سقط على درجات مطعم إيطالي صغير حيث كان يعلم بأنهم سيصورونه ويطعمونه.

كان فورد يمشي باتجاه الشمال، فكّرَ في أنه ربما يكون في طريقه إلى القاعدة الفضائية، لكنه كان قد فكّرَ في ذلك من قبل. كان يعلم بأنه يعبر الجزء من المدينة حيث غالباً ما تتغير مخططات الناس على نحو مفاجئ تماماً.

قال صوت من مدخل: «هل تريد أن تمضي وقتاً طيباً؟»

قال فورد: «إنني حتى الآن أمضي وقتاً طيباً. شكراً».

قال صوت آخر: «هل أنت غني؟»

جعلت هذه العبارة فورد يضحك.

استدار وفتح ذراعيه بإيماءة عريضة وقال: «هل أبدو غنياً؟»

قالت الفتاة: «لا أعلم، ربما، ربما لا. ربما ستغدو غنياً. أقدّمُ خدمة مميزة جداً للناس الأغنياء»...

قال فورد، متحمساً لكن بحذر: «أحقاً؟ وما هي؟»

- «أقول لهم إنه لا بأس في أن يكونوا أغنياء».

انطلق الرصاص من نافذة مرتفعة فوقهما، لكنه لم يكن سوى إطلاق للرصاص على عازف غيتار النغمة الجهيرة لأنه عزف المقطع بطريقة

مغلوطة ثلاث مرات على التوالي، وعازفو غيتار النغمة الجهيرة كثيرون في مدينة 'هان دولد' ولا قيمة لهم.

توقف فورد وحدّق إلى المدخل المظلم.

قال: «أنت ماذا؟»

ضحكت الفتاة وخطت إلى الأمام قليلاً خارج الظل. كانت طويلة، ذات حياء هادئ، الذي كان خاصية عظيمة إن تمكنت منها.

قالت: «إنها خاصيتي المميزة، لدي ماجستير في الاقتصاد الاجتماعي ويمكنني أن أكون مقنعة جداً. الناس يحبون ذلك. ولا سيما في هذه المدينة».

قال فورد بريفيكت: «غووسنار،» التي كانت كلمة بيتلجوسية مميزة يستخدمها عندما يعلم أنه يتوجب عليه قول شيء، لكن لا يعلم ما يجب أن يقول.

جلس على درجة، وأخرج من حقيبته زجاجة من شراب 'أولد جانكس' الروحي ومنشفة. فتح الزجاجة ومسح فوهتها بالمنشفة، الأمر الذي كان تأثيره عكس ما يُبتَغى، ففي تلك العملية قتل شراب 'أولد جانكس' الروحي على الفور ملايين الجراثيم التي كانت تبني ببطء حضارة معقدة ومتنوّرة إلى حد بعيد على الرقع نتنة الرائحة من منشفته.

قال بعد أن تجرّع كمية: «أتريدين بعضاً منه؟»

هزّت كتفيها وأخذت الزجاجة المقدّمة.

جلسا لوهلة يستمعان بسلام إلى صخب صافرات الإنذار ضد لصوص المنازل في البناء المجاور.

قال فورد: «بالمناسبة، هنالك كمية كبيرة من المال المُستَحَقة لي، فإن أخذتها، فهل يمكنني أن آتي وأراك حينها؟»

قالت الفتاة: «بالتأكيد، سأكون هنا. إذاً كم هي كبيرة هذه الكمية؟»

- «أجر عمل خمس عشرة سنة».

- «عمل ماذا؟»

- «كتابة كلمتين».

قالت الفتاة: «يا لزاركوان، أيهما أخذت الوقت الأكبر؟»

«الأولى، بمجرد أن كتبتها أتتني الثانية من تلقاء نفسها بعد ظهر أحد الأيام بعد الغداء».

اندفعت مجموعة طبول إلكترونية ضخمة عبر النافذة المرتفعة التي فوقهما وحطمت نفسها إلى قطع صغيرة أمامهما في الشارع.

سرعان ما تبين أن أحد أجراس الإنذار ضد اللصوص في البناء المجاور قد تم تشغيله على نحو متعمد من قبل قبيلة شرطة كي ينصبوا كميناً للقبيلة الأخرى. تجمعت سيارات ذات صفارات إنذار مدوّية في المكان، لتجد نفسها وقد صوّبت عليها حوامات أتت هادرة عبر الهواء بين أبراج المدينة الهائلة.

قال فورد بريفيكت، وقد اضطر إلى الصياح فوق الضجيج: «في الواقع، لم يكن الأمر كذلك تماماً، لقد كتبت كمية كبيرة، لكنهم اختصروها».

أخرج من الحقيبة نسخته من الدليل.

صاح: «ثم دُمر الكوكب، إنه بحق عمل جدير بالاهتمام، أليس كذلك؟ ومع ذلك، لا يزال عليهم أن يعطوني أجري».

صاحت الفتاة: «أنت تعمل في ذلك الشيء؟»

- «أجل».

- «إنها خاصية جيدة».

صاح: «هل تريدين رؤية الأشياء التي كتبتها، قبل أن تُمحى؟ التعديلات الجديدة ستصدر الليلة عبر الشبكة. لا بد أن أحدهم قد اكتشف أن الكوكب الذي أمضيت عليه خمس عشرة سنة قد دمر الآن. لقد سهوا عن الأمر في التعديلات السابقة، لكن لا يمكن أن تغيب عن ملاحظتهم إلى الأبد».

- «أصبح من المستحيل التكلم، أليس كذلك؟»

- «ماذا؟»

هزّت الفتاة كتفيها وأشارت إلى الأعلى.

كانت هنالك مروحية فوقهما الآن بدا أنها مشتركة في مناوشة جانبية مع الفرقة الموسيقية في الأعلى. كان الدخان ينبعث من المبنى، ومهندس الصوت متعلق من النافذة بأصابعه، في حين يضربه عازف غيتار غاضب على أصابعه بغيتار محترق. كانت الحوامة تطلق النار عليهم جميعاً.

- «هل يمكننا التحرك؟»

تجولا إلى أسفل الشارع بعيداً عن الضوضاء. وصلا إلى مجموعة تمثيل في مسرح الشارع، التي حاولت أن تعرض عليهما مسرحية قصيرة حول

مشكلات المدينة الداخلية، لكن بعد ذلك استسلمت المجموعة واختفت في المطعم الصغير الذي حل فيه مؤخراً حيوان القطيع ضيفاً.

في ذلك الوقت، كان فورد يعاين واجهة الاستخدام في الدليل. نزلا في زقاق. جثم فورد على علبة قمامة حين غمرت المعلومات شاشة الدليل.

وجد مدخله: «كوكب الأرض: غير مؤذ في الغالب».

على الفور تحولت الشاشة إلى كمية من رسائل النظام.

قال فورد: «ها هي ذي».

قالت الرسائل: «انتظر رجاءً، يتم تحديث المداخل عبر شبكة السب- إيثا. تتم مراجعة هذا المدخل. سيتم إطفاء النظام لعشر ثوان».

مرّت ليموزين ذات لون رمادي-معدني عند طرف الزقاق.

قالت الفتاة: «اسمع، إن دفعوا لك، فابحث عني، أنا فتاة عاملة، ويوجد أناس هناك يحتاجونني. عليّ الذهاب».

رفضت الاستماع إلى شكاوى فورد نصف الملفوظة، وتركته جالساً بكآبة على علب القمامة، يستعد لمشاهدة مسح كمية هائلة من عمل عمره إلكترونياً عبر الأثير.

هدأت الأمور قليلاً في الشارع، بالخارج، وانتقلت معركة الشرطة إلى قطاعات أخرى من المدينة، أما بقية الأعضاء الناجين من فرقة الروك فقد اتفقوا على الاعتراف باختلافاتهم الموسيقية ومتابعة مسيراتهم على نحو منفرد، وكانت فرقة الشارع المسرحية تخرج من المطعم الإيطالي مع حيوان

القطيع وهم يخبرونه بأنهم سيأخذونه إلى حانة يعرفونها حيث ستجري معاملته بقليل من الاحترام، وعلى مسافة قريبة، كانت سيارة الليموزين ذات اللون الرمادي-المعدني مركونة بصمت إلى جانب الحاجز.

أسرعت الفتاة إليها.

من خلفها، في ظلمة الزقاق، كان توهج أخضر يومض على وجه فورد بريفيكت، وكانت عيناه تتسعان ببطء ودهشة.

لأنه توقع ألا يجد شيئاً، مدخلاً ممحياً ومغلقاً، لكن بدل ذلك كان هنالك سيل من المعلومات المستمرة، نصوص، رسوم بيانية، أشكال، وصور، وصف متحرك للتزلج على الشواطئ الأسترالية، اللبن على الجزر اليونانية، مطاعم يجب تجنبها في لوس أنجلوس، صفقات مالية يجب تجنبها في اسطنبول، طقس يجب تجنبه في لندن، وحانات للذهاب إليها في كل مكان. صفحات وصفحات من ذلك. كل شيء كان موجوداً، كل شيء كتبه.

بعبسة متزايدة تعبر عن عدم فهم عقيم تفحص الصفحات جيئة وذهاباً، متوقفاً هنا وهناك عند مداخل مختلفة.

**نصائح للفضائيين في نيويورك:**

يمكنكم الهبوط في أي مكان، سنترال بارك، أي مكان. لن يهتم أحد، أو حتى يلاحظ.

للنجاة: احصلوا على عمل كسائق تكسي أجرة على الفور. عمل سائق تكسي الأجرة هو القيادة بالناس إلى أي مكان يريدون الذهاب إليه في آلات

صفراء كبيرة تدعى تكاسي. لا تقلقوا إن لم تعلموا كيف تعمل الآلات وإن لم تكونوا تتكلمون اللغة، أو لا تفهمون الجغرافيا أو حتى الفيزياء الأساسية للمنطقة، حتى لو كان لديكم هوائيات خضراء كبيرة قد نبتت في رؤوسكم. صدّقوني، هذه أفضل طريقة للبقاء مخفيين.

إذا كانت أجسادكم غريبة جداً، فجربوا عرضها على الناس في الشارع مقابل المال.

أشكال الحياة البرمائية من أي كوكب من كواكب مجموعات "سولينغ"، "نوكزيوس"، أو 'ناوساليا' ستستمتع تحديداً بالنهر الشرقي، حيث يقال إنه غني بالمواد الغذائية اللطيفة والواهبة للحياة أكثر من أفضل وأخبث قذارات المختبرات المصنّعة حتى الآن.

للتسلية: هذا قسم كبير. من المستحيل أن تحظوا بمرح أكبر من دون أن تعدموا كهربائياً مراكز المتعة لديكم...

حرّك فورد المفتاح الذي رآه الآن معنوناً بعبارة «وضع التنفيذ جاهز» عوضاً عن العبارة قديمة الطراز «جاهزية الوصول» التي استبدلت منذ وقت طويل كلمة «متوقف عن العمل» المرعبة التي تعود إلى العصر الحجري.

كان هذا كوكباً شاهده يتدمر بالكامل، شاهده بأم عينيه، أو بالأحرى كان معمياً من التمزق الجحيمي للهواء والضوء. شعر بالدمار بقدميه عندما بدأت الأرض تقرعه كأنها مطرقة، تثب، تهدر، وقد أمسكتها أمواج مدّ من الطاقة التي كانت تنهمر من سفن القوغونيين الصفر الكريهة. وفي النهاية، بعد خمس ثوان من اللحظة التي قرر فيها أن آخر لحظة ممكنة قد مرّت، شعر

بدوار اللاتشكل الخفيف عندما نُقل بوساطة شعاع الضوء مع آرثر دينت عبر الغلاف الجوي، كأنهما بث إذاعي لحدث رياضي.

لم يكن هنالك خطأ، لا يمكن ذلك. من المؤكد أنه تم تدمير الأرض. بالتأكيد، بالتأكيد تبخرت في الفضاء.

ومع ذلك فها هو ذا، بعد أن فعّل الدليل من جديد، المدخل الخاص به عن كيفية تمضية وقت جيد في بورنموث، دورسيت، إنكلترا، والذي لطالما فخر به كواحد من أكثر ما قدمه من اختراعات زخرفة على الإطلاق. قرأه مجدداً وهز رأسه بحيرة تامة.

أدرك فجأة ماهية الإجابة عن هذه المعضلة، وكانت وفق ما يلي، هنالك شيء غريب جداً يحدث، وفكّر، إن كان هنالك شيء غريب يحدث، فإنه يريده أن يحدث له.

خبّأ الدليل مجدداً في الحقيبة وأسرع في الخروج إلى الشارع.

مع مضيّه شمالاً من جديد، مرّ بسيارة ليموزين ذات لون رمادي-معدني مركونة بالقرب من الحاجز، ومن مدخل قريب سمع صوتاً رقيقاً يقول: «لا بأس في ذلك يا عزيزي، لا بأس في ذلك، عليك أن تتعلم أن تشعر بالرضا حيال الموضوع، انظر إلى الشكل الذي بني وفقه الاقتصاد برمّته»...

ابتسم فورد وانعطف حول المبنى التالي، الذي كانت تصعد منه ألسنة اللهب، فوجد حوامة للشرطة مركونة بلا حراسة في الشارع، اقتحمها، ووضع الحزام، وصالب إصبعيه[1]، وجعلها تندفع على نحو غير متمرس في السماء.

---

(١) كإشارة على تمني الحظ الطيب.

تمايل مذعوراً عالياً عبر جدران المدينة الشاهقة، وحينما تخلص منها، اندفع عبر سحب الدخان السوداء والحمراء التي تعلقت بثبات فوقها.

بعد عشر دقائق من دوي صفارات الحوامة وإطلاق النار العشوائي من مدفعها نحو الغيوم، تمكن فورد بريفيكت من إنزالها بين الإشارات وأضواء الهبوط الموجودة في محطة الفضاء التابعة لمدينة 'هان دولد'، حيث استقرت كبعوضة عملاقة، مرتعبة، ومفعمة بالضجيج.

وبما أنه لم يعطبها كثيراً فقد تمكن من مقايضتها بتذكرة من الدرجة الأولى على أول سفينة مغادرة النظام الشمسي، واستقر في واحد من مقاعدها العملاقة، المبهجة، التي تحتضن الجسد.

بينما كانت السفينة تومض بصمت عبر مسافات الفضاء الشاسعة، فكّر في نفسه، سيكون ذلك ممتعاً، وأصبحت الخدمة في القمرة في قمة التبذير.

قال: «نعم من فضلك،» لكل المضيفين عندما كانوا يمرون به ليعرضوا عليه أي شيء على الإطلاق.

ابتسم بنوع غريب من المتعة المجنونة حين كان يقلّب مجدداً عبر المدخل المعاد وضعه بغموض حول كوكب الأرض. كان لديه عمل كبير غير منته سيكون بإمكانه الآن أن يعتني به، وكان ممتناً على نحو كبير بأن الحياة وعلى حين غرة زودته بهدف جديّ ليحققه.

خطر له فجأة أن يتساءل عن مكان آرثر، وإن كان يعلم.

كان آرثر دينت على مسافة ألف وأربعمئة وسبع وثلاثين سنة ضوئية في سيارة ساب، وكان يشعر بالقلق.

كانت توجد خلفه في المقعد الخلفي فتاة جعلته يرطم رأسه بالباب عندما كان يصعد في السيارة. لم يدر إن كان السبب أنها أول أنثى من نوعه يقع ناظراه عليها منذ سنوات، أو غير ذلك، لكنه كان مذهولاً بـ... بـ... قال لنفسه، هذا سخيف، قال لنفسه، هدئ من روعك، وتابع قائلاً لنفسه بأحزم صوت داخلي تمكن من تجميعه، أنت لست في وضع عقلي مناسب، لقد سافرت للتو مسافة مئة ألف سنة ضوئية عبر المجرة، أنت متعب جداً، مرتبك قليلاً، وحساس جداً. استرخ، لا ترتعب، ركز على التنفس بعمق.

استدار في مقعده وقال مجدداً: «هل أنت متأكد من أنها بخير؟»

لم يكن يعرف عنها أكثر من حقيقة أنها جميلة على نحو لا يوصف، كم كان طولها، كم كان عمرها، لون شعرها بشكل دقيق، لم يستطع أن يسألها أي شيء من ذلك لأنها، ويا للأسف، فاقدة للوعي تماماً.

قال أخوها: «إنها تحت تأثير المخدر،» وهزّ كتفيه من دون أن يحول نظره عن الطريق أمامه.

قال آرثر بذعر: «وذلك أمر لا بأس به، أليس كذلك؟»

قال الأخ: «يناسبني،»

قال آرثر: «آه،» ثم أضاف بعد تَفَكُّر للحظة: «إيه»..

كانت المحادثة حتى الآن تدور على نحو سيئ ومذهل.

بعد هبة الترحيب الأولية، اكتشف هو وراسل - كان ذلك اسم أخ الفتاة المذهلة، إذ إنه كان اسماً جعل آرثر يتخيل صاحبه أن يكون ضخماً بشاربين أشقرين وشعر مسرّح بمجفف شعر، الذي يمكن لأتفه الاستفزازات

أن تجعله يبدأ بارتداء بدلة مخملية وربطات عنق مهدبة، ويجب بعدها أن يُمنع بالقوة من التعليق على مباريات البلياردو – اكتشفا أنهما لم يحبا بعضهما بعضاً على الإطلاق.

كان راسل رجلاً ضخماً، وكان لديه شاربان أشقران، وكان شعره جميلاً ومسرّحاً بمجفف شعر. لكن، لإعطائه حقه – على الرغم من أن آرثر لم يجد داعياً إلى ذلك أكثر من كونه نشاطاً ذهنياً خالصاً – كان آرثر يبدو متجهماً إلى حد بعيد. لا يمكن للمرء أن يقطع مئة ألف سنة ضوئية، معظم الوقت في مقصورات أمتعة لأناس آخرين، دون أن ينهك قليلاً، كان آرثر منهكاً جداً.

قال راسل فجأة: «ليست مدمنة مخدرات،» كأنه اعتقد أن شخصاً آخر في السيارة قد يكون كذلك، «إنها تحت تأثير مسكّن».

قال آرثر وهو يستدير لينظر إليها مجدداً: «لكن ذلك رهيب».

بدت أنها تتحرك قليلاً، وانزلق رأسها إلى الجانب على كتفها، وتهدل شعرها الداكن على وجهها وحجبه.

«ما خطبها، هل هي مريضة؟»

قال راسل: «لا، مجنونة تماماً فحسب».

قال آرثر مروعاً: «ماذا؟»

- «مجنونة، مخبولة تماماً. آخذها إلى المستشفى من جديد لأقول لهم أن يحاولوا مرة أخرى. لقد تركوها تخرج حين كانت لا تزال تعتقد أنها قنفذ».

- «قنفذ؟»

أطلق راسل بوق سيارته بقوة نحو سيارة أتت من خلف الزاوية باتجاههم فجأة في منتصف الطريق من جهتهم من الشارع، فجعلتهم ينحرفون. بدا أن الغضب قد حسّن من مزاجه.

قال بعد أن هدأ قليلاً: «حسناً، ربما ليست قنفذاً، على الرغم من أنه سيكون من الأبسط التعامل معها لو أنها كذلك. فلو ظن أحدهم أنه قنفذ فمن المفترض أن تعطيه مرآة وبعض الصور للقنفذ وتخبره أن يحلّ الأمر بمفرده، وتعود إليه عندما تتحسن حالته. في الأقل يمكن للعلوم الطبية أن تتعامل مع الأمر، هذه هي النقطة. ومع ذلك يبدو أن الأمر لم يكن جيداً كفاية لفيني».

- «فيني...؟»

- «هل تعلم ماذا جلبت لها في عيد الميلاد؟»

- «حسناً، لا».

- «قاموس بلاك الطبي».

- «هدية لطيفة».

- «اعتقدت ذلك. آلاف الأمراض في القاموس، كلها بالترتيب الأبجدي».

- «قلت إن اسمها فيني؟»

- «أجل. قلت لها اختاري مرضاً. أي شيء هنا يمكن التعامل معه. يمكن وصف الدواء المناسب. إنما لا، يجب أن تكون مصابة بمرض مختلف. لتصعّب الحياة. هكذا كانت في المدرسة كما تعلم».

- «أحقاً؟»

- «كانت كذلك. سقطت عندما كانت تلعب الهوكي وكسرت عظمة لم يسمع أحد بها من قبل».

قال آرثر بشك: «أعرف كم يكون ذلك مزعجاً». خاب أمله كثيراً عندما علم أن اسمها فيني. لقد كان سخيفاً، يسبب الكآبة، اسم قد تدعو به نفسها عمة عانس بغيضة إن لم تتمكن من تحمل اسم فينيللا على نحو مناسب.

تابع راسل قائلاً: «ليس الأمر أنني لم أكن متعاطفاً، لكن الأمر ازداد عن حده. كانت تعرج لشهور».

خفف من سرعته.

- «هذه هي تحويلتك، أليس كذلك؟»

قال آرثر: «آه، لا. بعد خمسة أميال إن لم يكن لديك مانع».

قال راسل بعد أن توقف قليلاً: «حسناً،» ليدل على أن لديه مانعاً، وزاد السرعة من جديد.

كانت في الحقيقة تحويلة آرثر، لكنه لم يتمكن من المغادرة قبل أن يعرف المزيد عن هذه الفتاة التي بدت أنها تستحوذ على عقله حتى قبل أن تصحو. يمكنه النزول عند أي من التحويلتين التاليتين.

لقد كانتا تؤديان إلى القرية التي كانت موطنه، على الرغم من أنه تردد في تخيل ما يمكنه أن يجد هناك. كانوا يمرون بعلامات الحدود بسرعة، فتبدو كالأشباح في الظلام، متسببة في ازدياد الرجفة لديه، التي يمكن للقلة القليلة من الأشياء العادية أن تسببها، عندما ترى من دون أن يكون الدماغ مستعداً لرؤيتها، وفي ضوء غير اعتيادي.

بالنظر إلى مقياسه الزمني الخاص، وبحسب ما تمكن من تقديره، من العيش تحت الدوران الغريب لشموس بعيدة، فقد مضت ثماني سنوات على مغادرته، لكنه لم يتمكن بسهولة من تخمين الوقت الذي مر هنا. وبالطبع فإن معرفة الأحداث التي مرت كانت أبعد من فهمه المنهك، لأن هذا الكوكب، موطنه، لا يفترض بأن يكون هنا.

لقد دمر هذا الكوكب منذ ثماني سنوات، في وقت الغداء، قضت عليه كاملاً سفن القوغونيين الصفر الضخمة التي تعلقت في سماء الظهيرة كأن قانون الجاذبية لا يتعدى كونه قانوناً محلياً، وخرقه لا يتعدى كونه مخالفة ركن سيارة.

قال راسل: «أوهام».

قال آرثر: «ماذا؟» وقد أجفل وانقطعت سلسلة أفكاره.

- «هي تقول إنها تعاني من أوهام أنها تعيش في العالم الحقيقي. لا يجدي نفعاً إخبارها بأنها تعيش في العالم الحقيقي لأنها تقول ببساطة أن ذلك ما يجعل الأوهام غريبة جداً. لا أدري ماذا عنك، لكنني أجد هذا النوع من المحادثات مضنياً للغاية. أعطها الحبوب وانطلق لشرب الجعة، هذه هي إجابتي. أقصد أنه لا يمكنك إلا أن تسخر كثيراً، أليس كذلك؟»

عبس آرثر، ليست المرة الأولى وقال: «حسناً»...

- «وكل هذه الأمور عن أحلام وكوابيس، والأطباء يعاينون قفزات غريبة في سلاسل موجاتها الدماغية».

- «قفزات؟»

قالت فيني: «هذا».

استدار آرثر في مقعده وحدق إلى عينيها اللتين كانتا مفتوحتين على حين غرة لكن خاليتين من التعبير. بغض النظر عمّا كانت تنظر إليه، فإنه لم يكن موجوداً في السيارة. رفرفت عيناها واهتز رأسها مرة، ومن ثم غطت في النوم بسلام.

سأل آرثر بقلق: «ما الذي قالته؟»

- «قالت 'هذا'».

- «ما 'هذا'؟»

- «ما 'هذا'؟ كيف لي أن أعرف بحقك؟ هذا القنفذ، قدر الموقد ذاك، الزوج الآخر من ملاقط دون ألفونسو. إنها مجنونة تماماً، أعتقد أنني ذكرت ذلك».

قال آرثر: «لا يبدو أنك تهتم كثيراً». وحاول بجهد إخراج الجملة كأمر واقع، لكن لم يبد أنه قد أفلح.

- «اسمع أيها التافه»...

قال آرثر: «حسناً، أنا آسف. ليس الأمر من شأني. لم أقصد أن تفهم كلامي بهذه الطريقة، أعرف أنك تهتم كثيراً، وهذا واضح،» ثم أضاف كاذباً: «أعرف أنه عليك التعايش مع الأمر بطريقة أو بأخرى. اعذرني، فلقد سافرت للتو من الطرف الآخر لسحابة هورسهيد».

حدّق باهتياج إلى خارج النافذة.

كان مذهولاً من حقيقة أنه بين كل المشاعر التي كانت تتصارع لتأخذ حيزاً من عقله في هذه الليلة مع عودته إلى الوطن الذي ظن أنه ضاع في النسيان إلى الأبد، فإن ما كان يقض مضجعه هو الهوس بهذه الفتاة الغريبة التي لم يعرف عنها سوى أنها قالت له: «هذا». وأنه لم يكن يتمنى أن يلتقي بأخيها على سفينة ثوغونية.

تابع قائلاً بأسرع ما يمكنه: «إذاً، إيـ، ما هذه القفزات، التي ذكرتها».

- «اسمع، هذه أختي، لا أدري لم أتكلم معك عنها»...

- «حسناً، أنا آسف، ربما من الأفضل أن تنزلني، هذه هي»...

في اللحظة التي قالها، أصبح الأمر مستحيلاً، لأن العاصفة التي مرت بهم ثارت من جديد على نحو مفاجئ. اندفع البرق عبر السماء، وبدا الأمر كأن أحدهم يسكب شيئاً قريب الشبه بالمحيط الأطلسي فوقهم، عبر منخل.

سبّ راسل وقاد بتصميم لبضع ثوان، في حين كانت السماء تضج عليهم. تمكن من غضبه عن طريق زيادة السرعة بطريقة متهورة ليعبر شاحنة كتب عليها «ماكينا للنقل في الظروف الجوية كافة». خف التوتر مع تهامد المطر.

- «بدأ الأمر بقضية عميل الاستخبارات المركزية الأمريكية الذي وجدوه في الخزان، عندما عانى الجميع من الهلوسات وكل شيء، تذكر ذلك؟»

تساءل آرثر لوهلة فيما لو يتوجب عليه أن يذكر مجدداً أنه سافر للتو عائداً من الطرف الآخر لسحابة هورسهيد، وأنه بسبب ذلك، ولأسباب أخرى مذهلة، غابت عنه آخر المستجدات، لكنه قرر أن ذلك سيعقد المسألة أكثر.

قال: «لا».

- «لقد جنت في تلك اللحظة، لقد كانت في مقهى في مكان ما من ريكمانسورث. لا أعلم ما الذي كانت تفعله هناك، لكنها جنت في ذلك المكان. يبدو أنها وقفت وأعلنت بهدوء أنها تعرضت لوحي استثنائي أو ما شابه، ارتجفت قليلاً، بدت مرتبكة، وفي النهاية انهارت وهي تصيح على شطيرة بيض».

أجفل آرثر.

قال بقليل من الصلابة: «يؤسفني جداً سماع ذلك».

أصدر راسل نوعاً من الأصوات المزعجة.

قال آرثر في محاولة لفهم الأمور: «إذاً، ما الذي كان يفعله عميل الاستخبارات المركزية في الخزان؟»

- «يتمايل إلى الأعلى والأسفل بالطبع، لقد كان ميتاً».

- «لكن ماذا»...

- «دعك من هذا، أنت تتذكر كل هذه الأمور. الهلوسات. الكل قال إن وكالة الاستخبارات المركزية تجري تجارب فيما يخص حرب العقاقير أو ما شابه. إحدى النظريات المعتوهة أن تستعيض عن غزو بلد بطريقة أكثر تأثيراً وأرخص، هي أن تجعل الجميع يظنون أنهم يتعرضون للغزو».

قال آرثر بصوت منخفض بعض الشيء: «أي هلوسات بالتحديد تلك...؟»

- «ما الذي تقصده بأي هلوسات؟ أتحدث عن قصة تلك السفن الصفراء الكبيرة، عندما جنّ الجميع وقالوا إننا سنموت، عندئذ فجأة، اختفت تلك السفن بعد أن انقضى مفعول التأثير. تبرأت وكالة الاستخبارات من الأمر، ما يعني أنه لا بد صحيح».

أصيب آرثر بدوار خفيف، وأمسكت يده بشيء ليثبّت نفسه، وشدت عليه بإحكام، أجرت شفتاه بعض حركات الفتح والضم، كأنما أراد عقله أن يقول شيئاً، لكن الكلام لم يخرج.

تابع راسل: «في أي حال، مهما كان نوع الدواء فلا يبدو أن تأثيره يزول بسرعة عن فيني. كنت أريد بشدة أن أقاضي وكالة الاستخبارات، لكن صديقاً لي يعمل محامياً قال إن الأمر سيكون كمحاولة الهجوم على مصح عقلي بموزة، لذا»...

هزّ كتفيه.

قال آرثر بصوت حاد: «الثوغونيون... السفن الصفر... اختفت؟»

قال راسل: «بالطبع اختفت، لقد كانت هلوسات،» ونظر إلى آرثر على نحو غريب. «هل تحاول أن تقول إنك لا تتذكر أياً من هذا؟ أين كنت بحق السماء؟»

هذا السؤال كان جيداً لآرثر إلى حد مذهل، ما جعله يقفز نصف قفزة من مقعده بسبب الصدمة.

صاح راسل: «يا مسيح!!!»، وهو ينازع للتحكم بالسيارة التي كانت تحاول الانزلاق على حين غرّة. دفع بها من طريق شاحنة قادمة، وانحرف

على منحدر عشبي. تمايلت السيارة حتى توقفت، وفي تلك الأثناء قُذِفَت الفتاة من المقعد الخلفي إلى مقعد راسل وسقطت على نحو أخرق.

استدار آرثر برعب.

قال من غير تفكير: «هل هي بخير؟»

مسّد راسل بيديه شعره المجفف غاضباً، شد شاربيه الأشقرين واستدار إلى آرثر قائلاً: «هلا تركت الكابح اليدوي من فضلك؟»

# الفصل السادس

من هنا كانت المسافة إلى قريته أربعة أميال: على بعد ميل من التحويلة، حيث رفض راسل البغيض بعنف أن يأخذه، ومن هناك توجد ثلاثة أميال إضافية من الممر الريفي الملتوي.

انطلقت سيارة الساب في عتمة الليل، شاهدها آرثر تغادر وهو مذهول كرجل قد صدّق بأنه كان معمياً لمدة خمس سنوات، ليكتشف فجأة أن الأمر كان مجرد ارتدائه لقبعة كبيرة جداً.

هزّ رأسه بقوة على أمل أن يزحزح بعضاً من الحقائق البارزة لتترتب وتعطي معنى لكون مربك تماماً، لكن بما أن الحقائق البارزة، إن وجدت، فشلت تماماً في القيام بذلك، بدأ يمشي مجدداً على الطريق، على أمل أن تساعده مسيرة قوية وبعض التقرحات المؤلمة في التأكد من وجوده على الأقل، إن لم يكن في التأكد من عقله.

كانت العاشرة وثلاثين دقيقة عندما وصل، وقد اكتشف هذه الحقيقة من النافذة التي تغطت بالأبخرة والشحم لحانة السائس والحصان، حيث عُلقت في الداخل لسنوات ساعة غينيس[1] قديمة ومتهالكة فيها صورة لطائر يشبه النعامة حُشر في حلقه كوب زجاجي بطريقة مضحكة.

---

(١) Guinness نوع من البيرة تنتجه شركة تحمل الاسم نفسه – المترجم.

هذه هي الحانة التي أمضى فيها وقت الغداء المشؤوم الذي فيه دمر أولاً منزله ومن ثم كوكب الأرض برمته، أو بالأحرى بدا أنه دمر، لا، اللعنة، دمر، لأنه لو لم يدمر فأين كان بحق الجحيم في السنوات الثماني الماضية، وكيف وصل إلى هناك ما لم يكن في واحدة من سفن الڤوغونيين الصفر الكبيرة التي كان راسل المرعب للتو يخبره بأنها مجرد هلوسات تسببت بها عقاقير، ومع ذلك فإن كان قد دمر، فما الذي كان يقف عليه حالياً؟

توقف عن معاينة هذه السلسلة من الأفكار لأنها لم تصل به إلى أي نتيجة غير النتيجة التي أوصلته إليها في آخر عشرين مرة عاينها.

بدأ مجدداً.

هذه هي الحانة التي أمضى فيها وقت الغداء المشؤوم الذي فيه حدث ما حدث، إذ إنه سيكتشف ما حدث لاحقاً، و...

لا تزال غير منطقية.

بدأ من جديد.

هذه هي الحانة حيث...

هذه حانة.

الحانات تقدم مشروبات، ومشروب قد يفيده الآن بكل تأكيد.

كان راضياً بأن عمليات التفكير المتخبطة لديه قد وصلت إلى نتيجة، وكان سعيداً بها حتى لو لم تكن النتيجة التي كان ينوي تحقيقها، خطا باتجاه الباب.

وتوقف.

ركض كلب أسود صغير وبره كالأسلاك من خلف حائط منخفض، وبعد أن لمح آرثر بوضوح، أخذ يزمجر.

كان آرثر يعرف هذا الكلب، بل يعرفه جيداً، كان يعود إلى صديق له يعمل في صناعة الإعلان، وكان اسمه الكلب الغبي الذي لا يعلم شيئاً وليس مذهلاً[1] لأن الطريقة التي انتصب فيها وبره على رأسه ذكرت الناس برئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وكان الكلب يعرف آرثر، أو في الأقل هذا ما كان يجب. كان كلباً غبياً، لكن كان عليه في الأقل أن يميّز آرثر عوضاً عن أن يقف هناك، مضايقاً، وكأن آرثر كان من أكثر الأشباح التي تطفّلت على حياته الغبية رعباً.

حثّ ذلك آرثر على المضيّ للتحديق من النافذة مجدداً، لكن هذه المرة ليس ليعاين الطائر المختنق، بل ليعاين نفسه.

مع رؤيته لنفسه فجأة، ولأول مرة في بيئة مألوفة، كان عليه أن يعترف أن الكلب على حق.

بدا كشيء قد يستخدمه المزارعون لإخافة الطيور، ولا شك أن دخول الحانة في وضعه الحالي سيثير التعليقات القاسية، بل وأسوأ من ذلك، لا بد من أنه سيوجد عدد من الناس الذين يعرفهم في الداخل، الذين سيكونون مجبرين على إمطاره بأسئلة كان يشعر في هذه اللحظة بأنه غير مستعد للتعامل معها.

---

(١) Know-Nothing-Bozo the Non-Wonder Dog

ففي سبيل المثال، "ويل سميذرس" مالك الكلب الغبي الذي لا يعلم شيئاً وليس مذهلاً، حيوان غبي إلى درجة أنه طُرد من إحدى إعلانات ويل لأنه غير قادر على معرفة أي واحد من طعام الكلاب عليه أن يفضّل، بغض النظر عن حقيقة أن اللحم في كل السلطانيات الأخرى كان مغطى بزيت محركات.

من المؤكد أن ويل سيكون في الداخل. فهذا كلبه، وهذه سيارته، بورش إس٩٢٨ رمادية، على زجاجها الخلفي لافتة كتب عليها «سيارتي الأخرى هي أيضاً بورش». عليه اللعنة.

حدّق إليها وأدرك أنه عرف شيئاً لم يعرفه من قبل.

مثله كمثل كل الأوغاد قليلي الملاحظة الذين يتقاضون أجوراً عالية، الذين كان آرثر يعرفهم في صناعة الإعلان، كان ويل سميذرس يريد، من خلال تغيير سيارته في شهر آب من كل سنة، أن يقول للناس إن محاسبه أجبره على ذلك، على الرغم من أن الحقيقة كانت أن محاسبه كان يحاول جاهداً أن يوقفه، بسبب نفقات الزوجة المطلقة التي عليه أن يدفعها، وهلم جرا. وكانت هذه السيارة نفسها التي يتذكر آرثر أنه كان يمتلكها من قبل، فلقد صرّح رقم اللوحة عن تاريخها.

وبالنظر إلى أنه فصل الشتاء، وأن الحادثة التي تسببت لآرثر بالكثير من المشكلات في ثمان من سنواته الخاصة، حصلت في بداية أيلول، أقل من ستة أو سبعة أشهر يمكن أن تكون قد مرت.

وقف ثابتاً على نحو رهيب للحظة، تاركاً الغبي الذي لا يعلم شيئاً يقفز إلى الأعلى والأسفل وينبح عليه. قد أذهله فجأة الإدراك الذي لم يعد في

وسعه تجنّبه، الذي كان كالتالي: إنه الآن غريب في كوكبه. ومهما حاولوا فلن يتمكن أحد من تصديق قصته. ليس لأنها بدت تافهة فقط، بل لأنها عارضت بشكل تام أبسط الحقائق الواضحة.

هل هذا حقاً كوكب الأرض؟ هل هناك من احتمال ولو بسيط بأنه اقترف خطأ استثنائياً؟

الحانة التي أمامه كانت مألوفة له على نحو لا يحتمل الشك، في كل تفاصيلها، كل قطعة قرميد، كل قطعة من الدهان المتقشر، وفي الداخل، تمكن من الإحساس بدفئها الصاخب، فاسد الهواء والمألوف، دعائمها المكشوفة، تجهيزات الإضاءة غير الأصلية، طاولتها اللزجة بفعل الجعة حيث كان الناس الذين يعرفهم آرثر يضعون مرافقهم عليها، التي يطل عليها مقاطع كرتونية لفتيات علّقت على صدورهن رزم من الفستق. كل تلك الأشياء كانت تخص موطنه، عالمه.

حتى إنه كان يعرف هذا الكلب اللعين.

- «مرحباً يا من لا تعلم شيئاً!»

سماعه لصوت ويل سميذرس كان يعني أن عليه أن يقرر ما عليه أن يفعل بسرعة. إن تشبث في مكانه فسيكتشفون وجوده، وسيبدأ العرض كله. لن ينفع الاختباء إلا في تأجيل هذه اللحظة فقط، وكان البرد قارساً.

حقيقة أن الصوت كان لويل سميذرس جعل مهمة الاختيار أسهل لآرثر، ليس لأن آرثر لم يحبه – فويل كان ممتعاً بعض الشيء، إنما، كل ما في الأمر أنه كان ممتعاً بطريقة متعبة لأنه، كونه يعمل في الإعلان، أرادك أن تعرف كم كان مسروراً ومن أين حصل على سترته.

ولأنه كان مدركاً لذلك، فقد اختبأ آرثر خلف شاحنة.

- «هيه، يا من لا تعلم شيئاً، ما الأمر؟»

فُتِحَ الباب وخرج ويل، يرتدي معطفاً جلدياً قصيراً كان قد أعطاه لصديق له في مختبر أبحاث الطرقات ليصدم به سيارة، كي يبدو عليه هذا المنظر المتهالك. الكلب الذي لا يعلم شيئاً، نبح بابتهاج، وبما أنه حصل على الانتباه الذي يريده، كان سعيداً ونسي آرثر.

كان ويل في صحبة بعض من أصدقائه، وكانت لديهم لعبة يلعبونها مع الكلب.

«شيوعيون!» صاحوا جميعاً مع بعضهم في وجه الكلب، «شيوعيون، شيوعيون، شيوعيون!!!»

استعر الكلب وهو ينبح، وراح يثب إلى الأعلى والأسفل من شدة النباح، وهو مهتاج بسبب المشاعر الجياشة التي تسببت بها الحماسة المبهجة. ضحكوا جميعاً وصفقوا له، ثم توزعوا في سياراتهم المختلفة واختفوا في الظلام.

فكر آرثر، من خلف الشاحنة، حسناً، هذا يؤكد شيئاً واحداً، هذا، لا بد، الكوكب الذي أتذكره.

# الفصل السابع

ظلّ منزله موجوداً.

لم تكن لديه أدنى فكرة عن سبب أو كيفية ذلك، لكنه قرر أن يذهب ويلقي نظرة في حين كان ينتظر الحانة حتى تخلو من مرتاديها ليتمكن من الذهاب إلى المالك طلباً لسرير يقضي فيه ليلته، عندما يكون الجميع قد ذهب، وها هو ذا.

دخل الشقة باستخدام مفتاح يحتفظ به تحت ضفدع حجري في الحديقة، وكان مستعجلاً لأن، وللمفاجأة، الهاتف يرن.

لقد سمعه ضعيفاً على طول الممر، وبدأ يركض بمجرد أن أدرك مصدر الصوت.

توجب عليه دفع الباب بشدة كي يفتح بسبب التراكم المذهل للبريد الدعائي على ممسحة الأرجل. لقد علق الباب في ما اكتشف لاحقاً أنه أربع عشرة دعوة شخصية متطابقة ليشترك في بطاقة ائتمان كان يمتلكها في الأصل، سبع عشرة رسالة إنذار لعدم دفع فواتير بطاقة ائتمان لا يتملكها أصلاً، ثلاث وثلاثون رسالة متطابقة تقول إنه اختير خصيصاً وشخصياً كذواقة حصيف يعرف ما يريده وما هو هدفه في عالمنا المعاصر المعقد والسريع، لذلك فقد يحب أن يبتاع نوعاً من أنواع المحافظ الرديئة. بالإضافة إلى قطة رمادية ميتة.

حشر نفسه عبر المدخل الضيق نوعاً ما، الذي تسبب به كل ما سبق ذكره، وتعثر عبر كومة من عروض النبيذ التي لا يرغب خبير حكيم في أن يفوتها، وانزلق فوق كومة أخرى من البطاقات البريدية الخاصة بفيلات رحلات الشاطئ، وتخبّط صاعداً السلم المظلم إلى غرفة نومه، ووصل إلى الهاتف في اللحظة التي توقف فيها عن الرنين.

انهار لاهثاً على سريره البارد ذي الرائحة العفنة، ولدقائق عدة توقف عن محاولة منع الكوكب من الدوران حول رأسه بالطريقة التي أرادها الكوكب بوضوح.

لما استمتع بدورته الصغيرة وهدأ قليلاً، مدّ آرثر يده إلى المصباح الجانبي، ولم يكن يتوقع أن يعمل. وكي يفاجئه أنار. راق ذلك لحس المنطق لدى آرثر. بما أن شركة الكهرباء قطعت عنه الكهرباء من دون تأخير في كل مرة دفع فيها فاتورته، فلقد بدا منطقياً أن يتركوه دون قطع عندما لا يدفع. من الواضح أن إرسال المال يجلب انتباههم إليه.

كانت الغرفة مثلما تركها تقريباً، غير مرتبة بشكل مؤسف، على الرغم من أن التأثير خف قليلاً بسبب طبقة الغبار السميكة. كتب نصف مقروءة ومجلات سكنت بين أكوام من مناشف نصف مستخدمة. زوج من الجوارب استلقيا في نصف كوبين نصف مشروبين من القهوة. ما كان في أحد الأيام شطيرة نصف مأكولة، أصبح في منتصف مرحلة التحول إلى شيء لم يرغب آرثر في معرفة أي شيء عنه إطلاقاً. فكر آرثر في نفسه: أرسل صاعقة إلى هذه الأرض، لتبدأ دورة تطور الحياة من جديد.

كان هنالك شيء وحيد مختلف في الغرفة.

لوهلة لم يتمكن من معرفة ماهية هذا الشيء المختلف، لأنه أيضاً كان مغطى بغشاء مقرف من الغبار. ومن ثم وقع نظره عليه وتوقف.

كان إلى جانب تلفاز قديم مهترئ لا يمكن أن تشاهد عليه إلا المقررات الدراسية للجامعة المفتوحة، لأنه لو حاول هذا التلفاز أن يعرض أي شيء أكثر إثارة قد ينهار.

كان صندوقاً.

دفع آرثر بنفسه إلى الأعلى على مرفقيه وحدقه.

كان صندوقاً رمادياً، وعليه نوع من البريق الباهت. كان صندوقاً رمادياً مكعباً، طول جانبه أكثر من قدم بقليل. كان مربوطاً بشريط رمادي وحيد، عُقِدَ في شكل قوس أنيق في أعلى الصندوق.

وقف آرثر ومشى إلى الصندوق، لمسه وهو دَهِش. مهما يكن، فهو ملفوف كهدية، بشكل جميل ومرتب، وينتظره ليفتحه.

رفع آرثر الصندوق بحذر وحمله عائداً إلى السرير، مسح الغبار عن الوجه العلوي وحل الربطة. الوجه العلوي للصندوق عبارة عن غطاء بسطح عريض ومسطح قد أُدخِل في قلب جسم الصندوق.

نزع آرثر الغطاء ونظر في الصندوق. في داخله كرة زجاجية تموضعت في منديل رمادي ناعم. أخرجها بحذر، لم تكن كرة تامّة لأنها مفتوحة في الأسفل، أو، كما أدرك بعد أن قلبها، في الأعلى، بإطار سميك. لقد كانت حوضاً، حوض سمك.

كان مصنوعاً من أروع الزجاج، شفافاً تماماً، ومع ذلك فله خاصية رائعة من اللون الرمادي-الفضي، كأن الكريستال والأردواز قد دخلا في تصنيعه.

قلّبه آرثر ببطء بين يديه. كان واحداً من أجمل الأشياء التي شاهدها، لكنه كان مرتبكاً بسببه. نظر في الصندوق، ولم يجد شيئاً سوى المنديل. وعلى الوجه الخارجي للصندوق لم يكن هناك شيء.

أدار الحوض من جديد، كان رائعاً، كان فاتناً، لكنه حوض سمك.

نقره بظفر إبهامه فأصدر صوت جرس عميقاً ورائعاً، واستمر لأكثر مما بدا أنه ممكن، ولما تلاشى الصوت في النهاية لم يبد أنه يخفت، بل كأنه ينجرف إلى عوالم أخرى، كما لو أنه في حلم بحري عميق.

أداره آرثر مرة أخرى وهو مسلوب اللب، لكن في هذه المرة، ومن زاوية مختلفة، لمع ضوء المصباح الجانبي الصغير المتسخ فوق احتكاكات دقيقة على سطح الحوض. رفع آرثر الحوض معدلاً زاوية الضوء، وفجأة، رأى بوضوح الأشكال الدقيقة المحفورة للكلمات، انعكس ظلها على الزجاج.

كانت تقول: «إلى اللقاء، وشكراً»...

كان ذلك كل شيء، طرفت عيناه، ولم يفهم شيئاً.

لخمس دقائق كاملة، قلّب الحوض مراراً وتكراراً، وضعه في وجه الضوء بزوايا مختلفة، ونقر عليه من أجل صوته الفاتن، وتأمل في معنى الرسالة المبهمة لكنه لم يخرج بشيء. في النهاية انتصب واقفاً، ملأ الحوض بماء من الصنبور، وأعاده إلى الطاولة جانب التلفاز. أخرج سمكة بابل الصغيرة من أذنه وأسقطها متلويّة في الحوض. لم يكن سيحتاجها بعد الآن، إلا لمشاهدة الأفلام الأجنبية.

عاد ليستلقي على فراشه، وأطفأ المصباح.

استلقى بسكون وصمت، واستغرق في الظلمة المحيطة به، وببطء أراح أطرافه حتى نهاياتها، وهدأ نَفَسَه ونظّمه، وبالتدريج أزاح كل الأفكار من رأسه، ثم أغمض عينيه، وأصبح غير قادر على النوم إطلاقاً.

كانت الليلة مضطربة وماطرة. تحركت الغيوم المحملة بالأمطار وهي الآن تركز اهتمامها على مقهى صغير خارج بورنموث، لكن السماء التي عبرتها تلك الغيوم تشوشت بسببها واكتسبت هواء رطباً مزعجاً، كأنه ليس لديها فكرة عمّا قد لا تفعله إن جرى إغضابها أكثر.

أطلّ القمر بطريقة شاحبة. بدا ككرة من الورق خرجت من الجيب الخلفي لسروال جينز كان بدوره قد خرج للتو من غسالة، حيث لن يتمكن سوى الزمن والكي من معرفة ما إذا كانت هذه الكرة لائحة تسوّق أو ورقة من فئة خمسة الباوندات.

اضطربت الرياح قليلاً، كذيل حصان يحاول أن يحدد مزاجه في هذه الليلة، ورن جرس في مكان محدداً منتصف الليل.

انفتحت منورة بصوت صرير.

كانت صلبة ويجب هزها وتحريكها قليلاً لأن إطارها متعفن قليلاً، ولأن المفصلة، في إحدى مراحل حياتها، دُهِنَت بعمق، لكن في النهاية كانت مفتوحة.

وُجِدَ عمود ليدعمها، وكافح شخص في الأخدود الضيق بين درجات السقف المتقابلة.

وقف الشخص وراقب السماء بصمت.

لم يكن من الممكن تمييز ذلك الشخص إطلاقاً على أنه المخلوق البري الذي اقتحم المنزل الصغير بجنون منذ ما يزيد عن ساعة. فلقد اختفى الرداء الرث والأشعث، الذي اختفت معالمه في أوحال مئات الكواكب، الملوث ببقع بهارات الطعام من مئات القواعد الفضائية المكسوة بالسخام، اختفى الشعر المتشابك، اختفت الذقن الطويلة والمعقودة، المزينة على نحو عملي وكل شيء.

عوضاً عن ذلك كان هنالك آرثر دينت، الناعم والطبيعي، يرتدي ثياباً قطنية وسترة كبيرة. لقد قص شعره وغسله، وحلق ذقنه. بقيت عيناه فقط تخبران بأنه تمنى من الكون أن يتوقف عما يفعله معه أياً يكن ذلك الشيء.

لم تكونا العينين اللتين نظر بهما آخر مرة إلى هذا المشهد بالتحديد، ولم يكن دماغه الدماغ نفسه الذي حلل الصور التي حولتها العينان. لم يكن في الأمر من عمل جراحي، بل مجرد تجارب صعبة مستمرة.

بدت له الليلة في هذه اللحظة كأنها مخلوق حي، والأرض المظلمة من حوله كأنها كائن، تجذّر هو نفسه فيه.

يمكنه الشعور بأنه وخزة على النهايات العصبية البعيدة، طوفان النهر البعيد، امتداد التلال غير المرئية، مجموعة السحب المحملة بالأمطار الغزيرة التي تركن في مكان ما بعيداً إلى الجنوب.

يمكنه أن يستشعر أيضاً إثارة أن يكون شجرة، الأمر الذي لم يكن يتوقعه. كان يعلم أنه لشعور جيد أن تلف أصابعك في الأرض، لكن لم يسبق له أن أدرك أن يكون الأمر ملائماً إلى هذا الحد. كان بإمكانه أن

يستشعر بموجة من المتعة غير الملائمة تقريباً تصل إليه من نيو فوريست[1]. فكّر في أن عليه في هذا الصيف أن يجرب شعور أن تكون لديه أوراق.

من وجهة أخرى، أحس بشعور أن يكون خروفاً أجفله صحن طائر، لكن عملياً لا يمكن تمييز ذلك الأمر عن خروف يجفله أي شيء يصادفه، لأن الخراف كائنات لا تتعلم سوى القليل إبان مسيرة حياتها، لذا ستجفل لرؤية الشمس تشرق في الصباح، وتُذْهَل من كل الخضرة في الحقول.

أدهشه اكتشافه لشعور الخراف الجفلة من الشمس في ذلك الصباح، والصباح الفائت، وجفلتها من مجموعة أشجار أمس الفائت. بإمكانه العودة بالزمن أكثر من ذلك، لكن الأمر أضحى مملاً لأن كل ما توقف عليه هو جفلة الخراف من أشياء أجفلتها في اليوم السابق.

ترك الخراف وأطلق مخيلته تسرح خارجاً بهدوء في تموجات نامية. شعرت مخيلته بوجود مخيلات أخرى، مئات منها، بل آلاف، في شبكة، بعضها وَسِنٌ، بعضها نائم، بعضها مُثار بشدة، وواحدة ممزقة.

واحدة ممزقة.

تجاوزها لفترة وجيزة، وحاول أن يعتاد عليها مجدداً، لكنها تملصت منه كالبطاقة الأخرى الموسومة بالتفاحة في سياق الذاكرة. شعر بنوبة من الإثارة لأنه علم غريزياً من تكون، أو في الأقل، من أرادها أن تكون، وبمجرد أن تعرف ما هي، تريدها أن تكون صحيحة، إن الغريزة آلية مفيدة جداً لتمكينك من معرفة أنها كذلك.

---

**(١)** New Forest: منطقة جنوبي هامبشاير، تتميز بالحياة الطبيعية المميزة فيها، و يعني اسمها **(غابة جديدة)**.

علم غريزياً أنها فيني، وأنه أراد إيجادها، لكنه لم يتمكن. وبسبب الإجهاد الزائد لأجلها، شعر بفقدان هذه القدرة الجديدة والغريبة، لذلك خفف البحث وأطلق مخيلته لتهيم بتؤدة مجدداً.

ومن جديد شعر بالتمزق.

من جديد، لم يتمكن من إيجادها. هذه المرة، بغض النظر عن الطريقة التي حاولت فيها أفكاره التخفيف عنه، لم يكن متأكداً أنها فيني، أو لربما كانت تمزقاً مختلفاً. هذه المرة توجد خاصية التفكك نفسها، لكنها بدت كشعور عام بالتمزق، أعمق، ليست عقلاً واحداً، ربما ليست عقلاً على الإطلاق، لقد كانت مختلفة.

ترك آرثر عقله يغوص في الأرض ببطء وعلى نحو كبير، يتموّج، ينزّ، يغوص.

كان يتابع مسيرة الأرض، منجرفاً مع إيقاعات الآلاف من الذبذبات، ينز عبر أنسجة حياتها، يتعاظم مع تياراتها، ينعطف مع وزنها. وظل التمزق يعود، كألم بعيد.

وأضحى يطير عبر أرض من الضوء، حيث إن الضوء هو الوقت، وتياراته كانت أياماً متراجعة. كان التمزق الثاني الذي شعر به موجود على مبعدة أمامه عبر الأرض، بسماكة شعرة واحدة في المشهد الحالم لأيام الأرض.

وفجأة أصبح فوقها.

رقص على نحو أخرق فوق الحافة مع انهيار أرض الأحلام من تحته، جرف مذهل يودي إلى اللاشيء، فراح آرثر يتلوى بوحشية، خادشاً اللاشيء، ملوّحاً في فضاء مروّع، وهو يدور ويهوي.

كانت توجد أرض أخرى عبر الصدع المثلّم، ووقت آخر، عالم أقدم، ليس شكلاً ممزقاً، لكنه يكاد يكون غير متماسك، أرْضَان... استيقظ.

هبت نسمة باردة على قطرة العرق التي وقفت على جبينه، كان الكابوس قد انتهى، وشعر آرثر أنه انتهى معه. تدلى كتفاه، فرك عينيه برفق بنهاية أصابعه. في النهاية كان نعساً بقدر ما كان متعباً. وفيما خص معناه، إن كان يعني أي شيء، سيفكر فيه في الصباح، لأنه سيرقد الآن في السرير وينام، سريره الشخصي، لينام هو شخصياً.

تمكن من رؤية منزله في الأفق، وتساءل عن سبب ذلك. رأى ظل المنزل الذي تسبب به ضوء القمر، وميزه من شكله القالبي الغبي. نظر حوله ولاحظ أنه على ارتفاع ثمانية عشر إنشاً تقريباً فوق شجيرات الورد الخاصة بأحد جيرانه ويدعى «جون أينسورث». كان ورده معتنى به بدقة، مشذب من أجل الشتاء، مربوط إلى قضبان ومعنون، وتساءل آرثر ما الذي يفعله فوقها. تساءل ما الذي يمسك به في ذلك الموضع، ولما اكتشف أن لا شيء يمسك به في ذلك الموضع سقط بشكل أخرق على الأرض.

انتصب على قدميه ورتب نفسه وعرّج عائداً إلى منزله على عقبٍ ملتوٍ. خلع ملابسه وتداعى في الفراش.

رن الهاتف مجدداً حين كان نائماً، رن لخمس عشرة دقيقة كاملة مسبباً لآرثر أن يتقلب مرتين، لكنه مع ذلك لم تكن لديه فرصة في إيقاظه.

# الفصل الثامن

استيقظ آرثر وهو يشعر بالروعة التامة، والنشاط، والسعادة الغامرة بأنه في المنزل، تنبع منه الحيوية والطاقة، وكاد لم يخب أمله بمعرفة أنه في منتصف شهر شباط.

كاد أن يذهب إلى البراد راقصاً، ووجد أقل ثلاثة أشياء مشعرة فيه، وضعها في طبق وراقبها عن كثب لمدة دقيقتين. وبما أن هذه الأشياء لم تقم بأي محاولة للحركة في ذلك الوقت أطلق عليها اسم فطور وأكلها. قضت هذه الأشياء على مرض فضائي خبيث كان آرثر قد التقطه من غير علم في مستنقعات فلارغاثون الغازيّة منذ أيام عدة، وقد كان للفيروس أن يقضي على نصف سكان العالم الغربي، ويذهب ببصر النصف الآخر، ويتسبب بالهوس والعقم لمن تبقى، لذا كانت الأرض محظوظة في ذلك الموضع.

شعر آرثر بالقوة، شعر بالعافية، أزال البريد الدعائي بنشاط بمجرفة ومن ثم دفن القطة.

وبينما كان ينجز ذلك، رن الهاتف، لكنه تركه يرن في حين استمر في وقوفه دقيقة صمت. أياً يكن، سيعيد الاتصال إن كان الأمر مهماً.

أزال الأوحال عن فردتي حذائه ودخل مجدداً.

كان هناك عدد قليل من الرسائل المهمة في كومة البريد الدعائي، بعض الوثائق من المجلس، بتاريخ يعود إلى ثلاثة أعوام مضت، متعلقة بالهدم المعتزم لمنزله، وبعض الرسائل الأخرى حول إقامة تحقيق عام بخصوص خطة المعابر في المنطقة بأسرها، وكانت هناك رسالة أيضاً من السلام الأخضر، جماعة الضغط البيئية التي كان يسهم في تقديم الهبات لها أحياناً، طالبين المساعدة في خطتهم لتحرير الدلافين والحيتان القاتلة من الأسر، وبعض البطاقات البريدية من أصدقاء يتذمرون على نحو مبهم من أنه لم يعد يتواصل معهم هذه الأيام.

جمع هذه الرسائل إلى بعضها ووضعها في ملف من الورق المقوى كتب عليه «أمور يجب عملها». وبما أنه كان يشعر بالنشاط والحيوية ذلك الصباح، أضاف أيضاً كلمة «ملحّ!»

فكّ آرثر وثاق منشفته وبعض الأغراض الغريبة من حقيبة بلاستيكية كان قد حصل عليها من متجر معبر براستا. كان الشعار المطبوع على جانب الحقيبة ذكياً ويشتمل على تلاعب لفظي بلغة سانتوري، إذ إن هذا التلاعب كان غير مفهوم على الإطلاق في أي لغة أخرى، ولذلك كان لا معنى له أبداً في متجر سوق حرة ضمن معبر فضائي. كما احتوت الحقيبة على ثقب، لذلك رماها بعيداً.

بوخزة مفاجئة، أدرك أن شيئاً آخر لا بد قد سقط في السفينة الفضائية الصغيرة التي جلبته إلى الأرض، التي، بكل كرم، خرجت عن مسارها لتنزله إلى جانب طريق «إي٣٠٣». كان قد أضاع نسخته المعفرة والمستنزفة

من الشيء الذي ساعده في إيجاد سبيله عبر المساحات الشاسعة في الفضاء التي اجتازها. لقد أضاع دليل المسافر إلى المجرّة.

فكر لنفسه، حسناً، هذه المرة لن أحتاجها مجدداً.

كان عليه إجراء بعض الاتصالات.

كان قد قرر كيفية التعامل مع كمية المتناقضات التي تسببت بها رحلة عودته، التي كان سيواجهها بكل بساطة.

اتصل بالبي بي سي، وطلب التكلم إلى رئيس قسمه.

- «آه، مرحباً، أنا آرثر دينت. اسمع، أعتذر عن عدم حضوري لمدة ستة أشهر، لكنني جننت».

- «آه، لا تقلق. اعتقدت أنه قد يكون شيء من هذا القبيل. ذلك يحدث هنا دائماً. متى يمكنك العودة؟»

- «متى يبدأ سُبات القنافذ؟»

- «في الربيع على ما أعتقد».

- «سآتي بعد ذلك بوقت قصير».

- «حسناً».

قلّب آرثر عبر الصفحات الصفراء[1] وأنشأ قائمة قصيرة بأرقام ليتصل بها.

---

(١) إشارة إلى دليل الهاتف، أو دليل العناوين Yellow Pages – المترجم.

- «آه، مرحباً، مستشفى أولد إيلم؟ نعم، أتصل لأرى إن كان بإمكاني التكلم إلى فينيلا، إيـ... فينيلا... يا إلهي، يا لسخفي، سأنسى اسمي أيضاً، إيـ، فينيلا، أليس ذلك سخيفاً؟ إنها مريضة لديكم، فتاة شعرها داكن، دخلت الليلة الفائتة»...

- «أخشى أنه ليس لدينا أي مريض باسم فينيلا».

- «آه، ليس لديكم؟ قصدت فيونا، بالطبع، نحن نناديها فينـ»

- «أنا آسف، إلى اللقاء».

وضع آرثر السماعة.

بدأت ست مكالمات كهذا المنهاج تؤثر في مزاج آرثر النشيط، والحيوي المتفائل، لذا قرر أنه قبل أن يهجره هذا المزاج كلياً سيذهب به إلى الحانة ويستعرضه قليلاً.

كانت لديه الفكرة المثالية لتفسير كل ما خصه من غرابة عصية على الفهم بلمح البصر، وصفّر وهو يفتح الباب الذي ثبط همته الليلة الفائتة.

- «آرثر!!!!»

ابتسم بمرح للعيون الجفلة التي حدقته من كل أرجاء الحانة، وأخبرهم عن روعة الوقت الذي أمضاه في جنوبي كاليفورنيا.

# الفصل التاسع

قَبِلَ آرثر بكوب آخر وتجرع منه جرعة كبيرة. «بالطبع، كان لدي معالجي الكيميائي الخاص أيضاً».

- «ماذا؟»

كان حديثه يزداد سخفاً، وقد علم ذلك. المتعة والملهى وأفضل جعة من وودهاوس، كانت خليطاً يجب الحذر منه، لكن أحد أول مضاعفات هذا الخليط هو منعك من الحذر من الأشياء، والمرحلة التي كان على آرثر أن يتوقف عن الشرح هي المرحلة نفسها التي، عوضاً عن ذلك، راح يؤكد فيها على حديثه.

أصرّ، بابتسامة سعيدة جامدة، وهو يقول: «آه نعم، ذلك ما تسبب بفقداني للكثير من الوزن».

قال جمهوره: «ماذا؟»

قال مجدداً: «آه نعم، لقد أعاد أهل كاليفورنيا اكتشاف الكيمياء، آه نعم».

ابتسم من جديد.

قال: «إلا أنها أكثر فائدة بكثير من تلك التي-» توقف بتأمل ليدع مجالاً للقواعد أن تتركب في دماغه «-التي اعتاد القدماء على ممارستها».

وأضاف: «أو في الأقل، فشلوا في ممارستها. لم يتمكنوا من الاستفادة منها، كما تعلمون. نوستراداموس وأمثاله، لم يتمكنوا منها».

قال أحد الحاضرين: «نوستراداموس؟»

قال آخر: «لا أعتقد أنه كان كيميائياً».

قال ثالث: «اعتقدت أنه متنبئ».

قال آرثر لجمهوره، أو للأجزاء الأساسية التي راحت تتمايل وتستحيل ضبابية بعض الشيء: «لقد أصبح متنبئاً، لأنه كان كيميائياً حقيراً، يجدر بكم معرفة ذلك».

تجرّع جرعة أخرى من جعته. كانت شيئاً لم يتذوقه لثماني سنوات. فتذوقها وتذوقها.

سأل بعض الحاضرين: «ما علاقة الكيمياء بخسارة الوزن؟»

قال آرثر: «أنا مسرور لأنك سألت هذا السؤال، مسرور جداً. وسأخبرك الآن بالصلة بين -» توقف للحظة «-هذين الشيئين. الشيئان اللذان ذكرتهما. سأخبرك».

توقف قليلاً وناور بأفكاره. كان الأمر أشبه بمشاهدة ناقلة نفط تنعطف في حيز ضيق على ثلاث مراحل في القناة الإنكليزية.

قال بترابط منطقي مفاجئ: «لقد اكتشفوا كيفية تحويل دهون الجسم الزائدة إلى ذهب».

- «أنت تمزح».

قال: «آه نعم،» ثم صحح نفسه: «لا، لقد فعلوا ذلك».

نظر من حوله إلى الجزء الشاك من جمهوره، الذي كان كل جمهوره، لذا أخذت تلك النظرة بعض الوقت لتنتهي.

سألهم قائلاً: «هل سبق لكم أن زرتم كاليفورنيا؟ هل تعلمون ماهية الأشياء التي يفعلونها هناك؟»

قال ثلاثة أعضاء من جمهوره إنهم زاروا كاليفورنيا وإن ما يقوله كان ضرباً من الخبل.

أصر آرثر على موقفه قائلاً: «لم تروا شيئاً،» وأضاف: «آه نعم،» لأن أحدهم كان يعرض عليه كوباً آخر من الجعة.

قال وهو يشير إلى نفسه من دون أن يخطئ بأكثر من بضعة إنشات: «الدليل أمام أعينكم. أربع عشرة ساعة في نشوة،» ثم قال: «في دبابة. في نشوة. كنت في دبابة كما أعتقد،» وأضاف بعد لحظة من التأمل: «لقد قلت ذلك من قبل».

انتظر بصبر في حين كان الشراب يوزّع كما ينبغي. شكّل الجزء التالي من قصته في مخيلته، الذي سيكون شيئاً ما حول دبابة في حاجة إلى توجيهها على طول خط تم إسقاطه عمودياً من نجم القطب إلى خط القاعدة المرسوم بين كوكب المريخ وكوكب الزهرة، وأوشك أن يبدأ بقصته عندما قرر عكس ذلك.

قال عوضاً عن ذلك: «لوقت طويل، في دبابة. في نشوة». نظر حوله بقسوة إلى جمهوره ليتأكد أن الجميع كان يتابع بانتباه.

تابع قائلاً: «أين كنت؟»

قال أحدهم: «في نشوة».

قال آخر: «في دبابة».

قال آرثر متحمساً: «آه نعم، شكراً لك. وببطء، ببطء، ببطء، ببطء، كل دهون جسمك الزائدة... تتحول... إلى-» وتوقف قليلاً من أجل التأثير، «-ذهب تحت الج... ذهب تحت ج... ذهب تحت الجل.. -» وتوقف ليأخذ نفساً، «ذهب تحت الجلد يمكنك التخلص منه بعمل جراحي. الخروج من الدبابة مزعج جداً. ما الذي قلته؟»

- «كنت أتنحنح فقط».

- «أظنك تشكين فيّ».

- «كنت أتنحنح».

أكد قسم كبير من الجمهور بتذمر منخفض: «كانت تتنحنح».

قال آرثر: «آه نعم، حسناً. ومن ثم تتقاسم العائدات،» وتوقف قليلاً من أجل فاصل رياضي، «مناصفة مع الكيميائي. وتجني كثيراً من المال!»

نظر بتمايل إلى جمهوره، ولم يتمكن من تجاهل مسحة الشك على وجوههم غير واضحة المعالم.

شعر بالإهانة من جراء ذلك.

سألهم قائلاً: «كيف تمكنت إذن من تنحيف وجهي؟»

بدأت بعض الأذرع الودود تساعده في الذهاب إلى المنزل، ولما داعب وجهه نسيم شباط البارد أكد قائلاً: «اسمعوا، من الرائج جداً في كاليفورنيا

حالياً أن تبدو الخبرة على محياكم. يجب أن تظهروا بمظهر من شاهد المجرّة. أقصد الحياة. يجب أن تظهروا بمظهر من شاهد الحياة. هذا ما حصلت عليه. تراجع في شكل وجهي. قلت، أعطني ثماني سنوات. أتمنى ألا تعود سن الثلاثين إلى كونها دُرجة، وإلا سأكون قد هدرت كثيراً من المال».

غط آرثر في صمت لوهلة في حين تابعت الأذرع الودود مساعدته في طول الزقاق المؤدي إلى منزله.

غمغم قائلاً: «وصلت البارحة، أنا سعيد جداً جداً جداً لوجودي في المنزل. أو في مكان شديد الشبه به»...

تمتم أحد أصدقائه: «إرهاق السفر، إنها لرحلة طويلة من كاليفورنيا. ترهقك جداً ليومين».

تمتم آخر: «لا أظنه كان هناك إطلاقاً، أتساءل أين كان. وما حصل له».

صحا آرثر بعد وقت قصير من نومه، وتسكع في أرجاء المنزل لوهلة. شعر بأنه مشوش ومثبط قليلاً، ولا يزال مربكاً بفعل الرحلة. تساءل كيف سيجد فيني.

جلس ونظر إلى حوض السمك. نقره مجدداً، وبصرف النظر عن كونه ممتلئ بالماء وفيه سمكة بابل صفراء صغيرة كانت تزدرد طريقها في المكان بكآبة، ظل الحوض يُصدِر صوتاً عميقاً ورناناً بالنقاوة الساحرة السابقة نفسها.

فكر لنفسه: «أحدهم يحاول أن يشكرني». تساءل عن هوية ذلك الشخص والسبب الذي يدفعه إلى ذلك.

# الفصل العاشر

- «في النبضة الثالثة ستكون واحدة... اثنتين وثلاثين... وعشرين ثانية».

- «بيب... بيب... بيب».

كبت فورد بريفيكت قهقهة رضا شريرة صغيرة، أدرك أنه لا يوجد سبب لكبتها، وضحك بصوت مرتفع، ضحكة شريرة.

حوّل الإشارة القادمة من شبكة السب-إيثا إلى نظام السفينة الصوتي الفخم، والنتيجة كانت صوتاً رناناً لنغمة رتيبة، يخرج بصفاء رائع في أرجاء القمرة.

- «في النبضة الثالثة ستكون واحدة... اثنتين وثلاثين... وثلاثين ثانية».

- «بيب... بيب... بيب».

رفع مستوى الصوت قليلاً في حين تابع بدقة جدول الأرقام المتغير بسرعة على شاشة حاسوب السفينة. أصبحت مسألة استهلاك الطاقة حيوية بالنسبة إلى المدة الزمنية التي حددها في عقله. فهو لم يرد استهلاكاً للطاقة يشعره بالذنب.

- «في النبضة الثالثة ستكون واحدة... اثنتين وثلاثين... وأربعين ثانية».

- «بيب... بيب... بيب».

تفحص أرجاء السفينة الصغيرة. تمشى على طول الرواق القصير.

- «في النبضة الثالثة»...

أقحم رأسه في الحمام الصغير، الجاهز والمصنوع من المعدن البراق.

- «... ستكون»...

كان الصوت رائعاً في الداخل.

نظر إلى داخل حجرات النوم الصغيرة.

- «... واحدة... اثنتين وثلاثين»...

الصوت مكتوم بعض الشيء. كان هناك منشفة معلقة فوق أحد مكبرات الصوت، فأنزلها.

- «... وخمسين ثانية».

رائع.

تفقد مخزن الحمولة المحزّمة، ولم يكن راضياً عن الصوت. كان هناك الكثير من الخردة الموضوعة في علب على الطريق. خرج من هناك وانتظر الباب حتى يُغلق. فتح لوحة تحكم بعنف وضغط على زر التخلص من الحمولة الزائدة. لم يعرف لماذا لم يفكر في ذلك من قبل. تلاشى صوت القعقعة المفاجئة، وبعد لحظة كان من الممكن سماع هسهسة خفيفة.

توقفت.

انتظر الضوء الأخضر حتى يضيء، ومن ثم فتح الباب مجدداً على مخزن الحمولة الفارغ.

- «... واحدة ... ثلاثاً وثلاثين... وخمسين ثانية».

رائع جداً.

- «بيب... بيب... بيب».

من ثم ذهب، وللمرة الأخيرة تفحص على نحو شامل حجرة انعدام الحركة في الحالات الطارئة، حيث كانت تلك الحجرة المكان الذي أراد فيه للصوت بالتحديد أن يكون مسموعاً.

- «في النبضة الثالثة ستكون واحدة... أربعاً وثلاثين... تماماً».

ارتجف وهو يحدق إلى الأسفل، عبر الغلاف المجمد تماماً، إلى كتلة الجسم الباهتة في الداخل. في أحد الأيام، ومن يعلم متى، قد تستيقظ، وعندها ستعلم ما الوقت. ليس الوقت المحلي بالضبط، صحيح، لكن من يهتم.

تفحص بدقة شاشة الحاسوب فوق سرير التجميد، خفّض الإضاءة، وتفحصها من جديد.

- «في النبضة الثالثة ستكون»...

مشى بهدوء إلى الخارج وعاد إلى قمرة التحكم.

- «... واحدة .... أربعاً وثلاثين وعشرين ثانية».

كان الصوت واضحاً كأنه يسمعه عبر سماعة هاتف في لندن، وذلك ما لم يفعله، منذ زمن بعيد.

حدق خارجاً في الليل القاتم. كان النجم الذي تمكن من رؤيته في الأفق، بحجم كسرة بسكويت رائعة، زوندوستينا، أو الثريا زيتّا، كما يعرف في الكوكب الذي أتى منه الصوت الرنان للنغمة الرتيبة.

كان القوس البرتقالي الساطع الذي ملأ أكثر من نصف المنطقة المرئية، الكوكب الغازي العملاق سيسيفراس ماغنا، حيث رصفت السفن الحربية الشاشيزية، وكان قمر أزرق صغير يدعى إيبون يرتفع فوق أفق ذلك الكوكب.

- «في النبضة الثالثة ستكون»...

جلس لمدة عشرين دقيقة وكاد لا يراقب تضيّق المسافة بين السفينة وإيبون، في حين قلّب حاسوب السفينة وضايق الأرقام التي ستوصل السفينة إلى حلقة حول القمر الصغير، تغلق الحلقة وتحافظ على السفينة تتحرك في مدارها بغموض أبدي.

- «واحدة... تسعاً وخمسين»...

كانت خطته الأصلية أن يبعد السفينة عن كل مصادر الإشارات والاشعاعات الخارجية، ليحيلها لا مرئية قدر المستطاع، إلا إذا كنت تنظر إليها مباشرة، لكن حين ذاك طرأت له فكرة فضلها. سوف تبعث الآن شعاعاً واحداً، بثخن قلم رصاص، وتبث إشارة الوقت القادمة إلى الكوكب الذي أتت منه هذه الإشارة، حيث إنها لن تصل قبل أربعمئة سنة، وهي تنتقل بسرعة الضوء، لكنها قد تسبب نوعاً من الاضطراب عندما تصل.

- «بيب... بيب... بيب»...

ضحك ضحكة نصف مكبوتة.

لم يكن يحب أن يرى نفسه شخصاً يضحك ضحكات مكبوتة أو نصف مكبوتة، لكن عليه أن يقر بأنه مستمر في ضحكاته المكبوتة ونصف المكبوتة لأكثر من نصف ساعة الآن.

- «في النبضة الثالثة»...

أصبحت السفينة الآن مثبتة على نحو شبه تام في مدارها الأزلي حول القمر غير المشهور الذي لم يزره أحد من قبل. على نحو شبه تام.

بقي شيء واحد. شغل فورد من جديد محاكي حاسوب السفينة الخاص بتشغيل عربة الإنقاذ الصغيرة، إيسكيب-و-باغي، سلوك التوازن، ردات الفعل، قوى التماس، كل قصائد الحركة الرياضية، ورأى أنها في حال جيدة.

أطفأ الأضواء قبل أن يغادر.

مرّت مركبة النجاة الصغيرة خاصته في أثناء انطلاقها في رحلة الأيام الثلاثة إلى المحطة الفضائية التي تدور بمدار، بورت سيسيفرون، لثوان عدة بشعاع إشعاعي طويل بثخن قلم رصاص كان ينطلق في رحلة أطول.

-«في النبضة الثالثة ستكون اثنتين... ثلاث عشرة... وخمسين ثانية».

ضحك ضحكة مكبوتة وضحكة نصف مكبوتة. كان ليضحك بصوت مرتفع، إلا أنه لم تكن هنالك مساحة كافية.

- «بيب... بيب... بيب»...

# الفصل الحادي عشر

- «على نحو خاص، أكره الهطولات المطرية في شهر نيسان».

بدا الرجل مصمماً على التحدث إلى آرثر بغض النظر عن أصوات عدم الاكتراث التي أصدرها آرثر. تساءل إن كان عليه أن ينهض ويذهب إلى طاولة أخرى، لكن لم يبد أن هناك واحدة فارغة في كل المقهى. حرّك قهوته بعنف.

- «هطولات نيسان المطرية اللعينة. أكرهها، أكرهها، أكرهها».

نظر آرثر إلى الخارج عبر النافذة بوجه عبوس. انحدر رذاذ مطري مغمور بأشعة الشمس فوق الطريق السريع. لقد مضى على عودته شهران الآن. وعودته إلى حياته السابقة كانت سهلة على نحو مضحك. يمتلك الناس ذاكرة قصيرة استثنائياً، بمن فيهم هو. لم تبد له ثماني سنوات من الترحال المجنون في المجرة كحلم سيئ، بل كفلم سجّله عن شاشة التلفاز واحتفظ به داخل الخزانة من دون أن يكلف نفسه عناء مشاهدته.

إلا أن أحد التأثيرات، الذي مازال موجوداً هو متعة أنه قد عاد. بما أنه اعتقد مخطئاً بأن الغلاف الجوي للأرض قد أقفل من فوق رأسه إلى الأبد، فلقد أعطاه كل شيء تحته متعة استثنائية.

بالنظر إلى الوميض الفضي لقطرات المطر، شعر بأن عليه أن يحتج.

قال فجأة: «حسناً، تعجبني هذه الأمطار، والسبب في ذلك واضح. فهي خفيفة ومنعشة. وهي تومض وتُشعِرُك بشعور جيد».

شخر الرجل بسخرية.

قال محملقاً على نحو قاتم من مقعده في الزاوية: «ذلك ما يقوله الجميع».

كان سائق شاحنة. علم آرثر ذلك لأن تعليقه الافتتاحي غير المسوّغ كان، «أنا سائق شاحنة. أكره القيادة تحت المطر. إنه أمر ساخر أليس كذلك؟ ساخر لعين».

إن كان هناك من استنتاج خفي في هذه الملاحظة، فإن آرثر لم يتمكن من التنبؤ به وبعناء أصدر صوتاً دمثاً لكن ليس مشجعاً.

إلا أن ذلك الصوت لم يردع الرجل في السابق، ولم يردعه الآن.

قال: «الناس كلهم يقولون ذلك عن هطولات نيسان المطرية اللعينة، لطيفة جداً، منعشة جداً، يا له من طقس فاتن لعين».

انحنى إلى الأمام لاوياً رأسه إلى الأعلى كأنه سيقول شيئاً غريباً عن الحكومة.

قال: «ما أريد معرفته هو هذا، إن كان الطقس سيكون جميلاً، لم، لا يمكنه أن يكون كذلك من دون الأمطار اللعينة؟»

استسلم آرثر وقرر أن يترك قهوته، التي كانت أسخن من أن تُشرَب بسرعة وأبغض من أن تُشرَب باردة.

قال: «حسناً، ها أنت ذا،» وعوضاً عن ذلك نهض متابعاً: «وداعاً».

توقف قليلاً عند متجر محطة الخدمة، ثم مشى عائداً عبر موقف السيارات، معبّراً عن استمتاعه بالمطر المتراقص على وجهه. كما أنه لاحظ وجود قوس قزح باهت يتلألأ فوق تلال ديڤون. استمتع بذلك أيضاً.

صعد في سيارته السوداء البالية، لكن المحببة إلى قلبه، من نوع فولكس ڤاغن رابيت، وجعل الإطارات تطلق صوتاً حاداً، وانطلق إلى الخارج عابراً جزر محطات الوقود، من الطريق الفرعي إلى الطريق السريع.

كان مخطئاً باعتقاده أن غلاف الأرض الجوي أُغلق مرة وإلى الأبد فوق رأسه.

كان مخطئاً في اعتقاده أن من الممكن أن يترك وراءه شبكة التيه والحيرة المعقدة التي جرته إليها أسفاره المجرية.

كان مخطئاً باعتقاده أنه يمكنه نسيان أن الأرض الكبيرة، الصلبة، الملوثة، القذرة التي تعلق فوقها قوس قزح، وعاش هو عليها، ليست سوى نقطة ميكروسكوبية على نقطة ميكروسكوبية تائهة في اللانهائية غير المعقولة للكون.

تابع قيادة سيارته وهو يدندن، مخطئاً فيما خص كل ما سبق.

كان السبب في كونه مخطئاً يقف إلى جانب الطريق الفرعي تحت مظلة صغيرة.

ارتخى فكه، والتوت قدمه فوق مداسة الفرامل، وانزلقت السيارة بقوة حتى كادت تنقلب.

صاح قائلاً: «فيني!»

بعد أن تمكن بشق النفس من ألا يصدمها بالسيارة نفسها، صدمها عوضاً عن ذلك بباب السيارة بعد أن انحنى عبر السيارة ودفعه ليُفتح.

ارتطم الباب بيدها وأطار المظلة منها، التي انطلقت بخفة مبتعدة عبر الطريق.

صاح آرثر بكل ما يمكنه من إفادة: «تباً!» قفز من بابه، وبعناء تجنب أن تدوسه عربة ماكينا للنقل في الظروف الجوية كافة، وشاهدها بذعر كيف داست مظلة فيني عوضاً عن أن تدوسه.

تابعت الشاحنة طريقها على طول الطريق السريع وابتعدت.

تمددت المظلة كطيَثار[1] سُحِقَ حديثاً، وهو يموت بحزن على الأرض. جعلتها عصفات صغيرة من الرياح ترتعش قليلاً.

رفعها آرثر وقال: «إيه،» لم يبد أن هنالك الكثير من المغزى بإرجاع ذلك الشيء إلى صاحبته.

قالت: «كيف عرفت اسمي؟»

قال: «إيه، حسناً، اسمعي، سأجلب لك واحدة أخرى».

نظر إليها، وأشاح وجهه.

كانت طويلة، بشعر داكن متموج حول وجه شاحب وجاد. بدت كئيبة تقريباً في حين كانت تقف وحيدة وثابتة، كتمثال لفضيلة مهمة لكن غير مشهورة في حديقة رسمية. بدت كأنها تنظر إلى شيء غير الذي بدت أنها تنظر إليه.

---

(١) طيَثار: حشرة من فصيلة الذباب، طويلة الأرجل. - المترجم

إنما لما ابتسمت، كما فعلت الآن، على حين غرة، كان الأمر أشبه بوصولها من مكان ما. تدفقت الحياة والدفء إلى وجهها، وحركة جميلة على نحو مستحيل إلى جسدها. التأثير كان مربكاً للغاية، ولقد أربك آرثر على نحو مرعب.

ابتسمت، رمت حقيبتها في الخلف وأدارت نفسها لتجلس في المقعد الأمامي.

قالت له وهي تصعد في السيارة: «لا تقلق بشأن المظلة، لقد كانت لأخي ولم يكن يحبها وإلا لما أعطاني إياها». ضحكت وسحبت حزام الأمان. «أنت لست صديقاً لأخي، أليس كذلك؟»

- «لا».

كان صوتها الجزء الوحيد منها الذي لم يقل «جيد».

كان وجودها المادي هناك في السيارة، سيارته، شيئاً استثنائياً بحق لدى آرثر. شعر أن من الصعب عليه التفكير أو التنفس، في حين ترك السيارة تتحرك ببطء، وتمنى ألا تكون أي من تلك الوظيفتين حيوية للقيادة وإلا سيكونان في خطر.

إذاً، فإن ما اختبره في السيارة الأخرى، سيارة أخيها، في تلك الليلة التي عاد بها متعباً ومربكاً من سنوات الكابوس بين النجوم، لم يكن اضطراباً لحظياً فحسب وإلا، لو كان كذلك، فإن اضطرابه الآن ليس بأقل من مضاعف، وهو معرض جداً ليسقط عن أي شيء يُفترض بالناس المتوازنين أن يتوازنوا عليه.

قال: «إذاً»... متمنياً أن يبدأ المحادثة بداية مثيرة.

- «كان يفترض بأخي أن يقلني، لكنه اتصل بي ليقول إنه لم يتمكن من ذلك. سألت عن الحافلات، لكن الرجل راح ينظر إلى التقويم بدلاً من جدول المواعيد، لذا قررت أن أسافر متطفلة. لذا».

- «إذاً».

- «لذا أنا هنا، وما أود معرفته هو كيف تعرف اسمي؟»

قال آرثر، وهو ينظر إلى الخلف من فوق كتفه ويبطئ من سرعة السيارة في حركة مرور الطريق السريع: «ربما علينا أن نقرر في البدء إلى أين أقلّك».

تمنى أن يكون مكاناً قريباً، أو بعيداً. فالمكان القريب سيعني أنها تقطن قريباً منه، والمكان البعيد سيعني أنه سيوصلها إلى هناك.

قالت: «أود الذهاب إلى تانتن من فضلك، إن لم تكن هنالك مشكلة. إنها ليست بعيدة. يمكنك أن تنزلني في»...

قال: «أتقطنين في تانتن؟» وقد تمنى أنه تمكن من أن يبدو مجرد فضولي أكثر من كونه مبتهجاً. إن تانتن قريبة إليه على نحو رائع، يمكنه أن...

قالت: «لا، في لندن، هناك قطار سيغادر في أقل من ساعة».

كان ذلك أسوأ شيء ممكن. فإن تانتن على بعد بضع دقائق على الطريق السريع. تساءل عمّا يمكنه فعله، وبينما هو يتساءل سمع نفسه، بذعر، يقول: «أوه، يمكنني أن أقلّك إلى لندن. دعيني أقلّك إلى لندن»...

أحمق أخرق. لم قال «دعيني» بتلك الطريقة الفظة؟ لقد كان تصرفه أشبه بتصرف من هو بسن الثانية عشرة.

نظرت إليه ببساطة وسألته: «هل أنت ذاهب إلى لندن؟»

لم يقل: «نعم،» وفشل في إضافة: «وعليّ الإسراع،» كما فشل في عدم النظر إلى ساعته.

قال: «لم أكن، لكن»... أحمق أخرق.

قالت: «ذلك لطف كبير منك، لكن لا داعي حقاً. أود الذهاب بالقطار».

وفجأة اختفت. أو بالأحرى اختفى ذلك الجزء الحيوي منها. نظرت بعيداً من النافذة ودندنت بهدوء لنفسها.

لم يتمكن من تصديق ذلك. لم يمتد حديثه معها أكثر من ثلاثين ثانية، وها هو ذا أفسده للتو.

قال لنفسه: «الرجال البالغون لا يتصرفون على هذا النحو المتناقض تماماً مع قرون من الأدلة المتراكمة حول كيفية تصرف الرجال البالغين».

كُتِبَ على اللافتة «تانتن، ٥ أميال».

أحكم قبضته على المقود إلى درجة أن السيارة اهتزت، فكان سيتوجب عليه عمل شيء مفاجئ.

قال: «فيني».

نظرت إليه بحدة وقالت: «لم تخبرني بعد كيف»...

قال آرثر: «اسمعي، سأخبرك، على الرغم من أن القصة غريبة بعض الشيء. غريبة جداً».

استمرت في النظر إليه، لكنها لم تقل شيئاً.

- «اسمعي»...

- «لقد قلت ذلك».

- «أحقاً؟ آه. هناك أشياء عليّ التحدث إليك بشأنها، وهناك أشياء عليّ إخبارك بها... قصة، ينبغي أن أخبرك بها، يمكن أن»... كان يستفيض في الشرح، لقد أراد شيئاً يتماشى مع أبيات الشعر: «على خصائل شعرك المعقودة أن تنفصل، لتقف كل شعرة على حدة، كالقش على ظهر الشَّيْهَم المضطرب». لكنه لم يعتقد أن في وسعه أن ينجح في ذلك، بالإضافة إلى أنه لم يحب الدلالة إلى القنفذ.

- «... يمكن أن تستلزم أكثر من خمسة أميال،» هذا ما استقر عليه في النهاية، وعلى نحو ضعيف، يا للأسف.

- «حسناً»...

قال: «بافتراض، بافتراض»... لم يعلم ما هو الكلام التالي، لذا قرر أنه سيجلس ويستمع «...أنك، وبطريقة غريبة، مهمة جداً بالنسبة إلي، وأني، على الرغم من عدم معرفتك، مهم جداً بالنسبة إليك، لكن ذلك ذهب سدى لأنه ليس لدينا سوى مسافة خمسة أميال، وأنا أحمق غبي لا أعرف كيف أقول شيئاً مهماً جداً لشخص التقيت به للتو من دون أن أصطدم بالشاحنات في الوقت نفسه، فماذا تشيرين»... توقف، على نحو بائس، ونظر إليها متابعاً: «...عليّ أن أفعل؟»

صاحت: «انظر إلى الطريق!»

-«سحقاً!»

بعناء تجنب الجنوح جانب شاحنة ألمانية محملة بمئة غسالة إيطالية.

قالت بتنهيدة راحة مؤقتة: «أظن أن عليك أن تشتري لي شراباً قبل أن يذهب قطاري».

# الفصل الثاني عشر

لسبب ما، هناك شيء مقيت على نحو خاص فيما يخص الحانات بالقرب من محطات القطار، نوع مميز جداً من القذارة، نوع من الشحوب المميز لفطائر اللحم.

ومع ذلك، فإن الأسوأ من فطائر اللحم، هي الشطائر.

هناك شعور راسخ في إنكلترا أن صنع شطيرة مميزة، شهية، أو لذيذة على نحو أو آخر، هو شيء آثم لا يفعله سوى الغرباء.

«اجعلها جافة،» تلك واحدة من التعليمات المخبوءة في مكان ما من الوعي الوطني، «اجعلها مطاطية. إن كنت تريد المحافظة على هذه القذارة طازجة، فما عليك سوى غسلها مرة في الأسبوع».

يحاول البريطانيون التكفير عن ذنوبهم الوطنية، أياً كانت، بتناول الشطائر في الحانات وقت الغداء أيام السبت. ليسوا متأكدين تماماً من ماهية هذه الذنوب، ولا يريدون أن يعرفوا أيضاً. ليست الذنوب بالأشياء التي يريد الإنسان معرفتها. إنها، أياً تكن هذه الذنوب، فلقد كفّروا عنها بوفرة عن طريق الشطائر التي يجبرون أنفسهم على تناولها.

إن كان هنالك أي شيء أسوأ من الشطائر، فإنه النقانق الموجودة إلى جانبها. أنابيب كئيبة، ممتلئة بالغضاريف، تعوم في بحر من سائل حار

وتعس، طُعِنَت بدبابيس بلاستيكية في شكل قبعة طبّاخ، قد يشعر المرء بأنها نصب تذكاري لطباخ كره العالم، ومات، منسياً ووحيداً بين قططه على سلّم خلفي في ستيبني[1].

إن النقانق لأولئك الذين يعرفون ما هي ذنوبهم ويودون التكفير عن شيء محدد.

قال آرثر: «لا بد من وجود مكان أفضل».

قالت فيني وهي تنظر إلى ساعتها: «لا يوجد وقت، سيغادر قطاري بعد نصف ساعة».

جلسا إلى طاولة صغيرة مهتزة، يوجد عليها بضع كؤوس قذرة، وبعض مناشف الجعة المبللة التي طُبعت عليها نكات. أحضر آرثر لفيني عصير الطماطم، وأحضر لنفسه كأساً فيها ماء أصفر يحتوي على غاز. ولم يعلم لم أحضر زوجاً من النقانق. اشتراهما ليفعل شيئاً ريثما يستقر الغاز في كأسه.

شكر آرثر الساقي لغمسه ما تبقى من أموال آرثر في بركة من الجعة على الطاولة.

قالت فيني وهي تنظر إلى ساعتها: «حسناً، أخبرني بما عليك إخباري به».

بدت نبرتها، كما يفترض بها أن تكون، مرتابة إلى أبعد حد، وكاد قلب آرثر يتوقف. شعر أن الموقف يكاد لا يساعد في محاولة أن يشرح لها، في حين هي جالسة أمامه، وقد أصبحت على حين غرة دفاعية وغير مكترثة، أنه في

---

(١) مقاطعة في القسم الشرقي من لندن – المترجم.

حلم من أحلام الخروج من الجسد، قد تملكه إحساس تخاطري بأن الانهيار العقلي الذي عانت منه له صلة بحقيقة أن الأرض دمرت، على الرغم من أن الظاهر عكس ذلك، لإفساح المجال لمعبر فضائي جديد، الأمر الذي لم يعرفه على الأرض أحد سواه، بما أنه شاهده عملياً من سفينة ڤوغونية، وعلاوة على ذلك، فإن جسده وروحه تاقا إليها على نحو لا يحتمل، وكان في حاجة ماسة إلى أن يذهب معها إلى الفراش بأسرع ما يمكن للبشر أن يفعلوا ذلك.

بدأ حديثه: «فيني،»

- «أتساءل إن كنت تود شراء بعض بطاقات اليانصيب خاصتنا؟ إنه يانصيب صغير».

نظر آرثر إلى الأعلى بحدة.

- «لجمع المال من أجل آنجي، التي ستستقيل».

- «ماذا؟»

- «وتحتاج إلى كلية اصطناعية».

كانت قد انحنت فوقه امرأة متوسطة في العمر، نحيلة على نحو واضح، مرتدية بذلة محتشمة، شعرها مجعد أنيق، وارتسمت على وجهها ابتسامة صغيرة متكلفة، ومن المحتمل أن الكلاب الصغيرة المحتشمة قد لعقتها كثيراً.

كانت تمد دفتراً صغيراً من بطاقات المراحيض وعلبة معدنية لجمع التبرعات.

قالت: «سعر الواحدة عشرة قروش فقط، لذا قد تتمكن من شراء اثنتين، من دون أن تؤثر في حسابك المصرفي!» أطلقت ضحكة رنانة صغيرة، ومن ثم تنهيدة طويلة غريبة. لا بد أن قولها: «من دون أن تؤثر في حسابك المصرفي» قد تسبب لها بسرور أكثر من أي شيء منذ أن أوى إليها بعض الجنود في الحرب.

قال آرثر: «إيـ، نعم، حسناً،» ومد يده بسرعة في جيبه وأخرج قطعتين نقديتين.

مزقت المرأة بطاقتين من الدفتر وأعطتهما لآرثر ببطء مغيظ، واحتشام متكلف، إن كان هناك شيء من هذا القبيل.

قالت بابتسامة: «أتمنى لك أن تربح،» وأتبعتها فجأة، كقطعة من الأوريغامي المتقدمة، بقولها: «إن الجوائز جميلة جداً».

قال آرثر، وهو يدس البطاقتين في جيبه بفظاظة وينظر إلى ساعته: «نعم، شكراً لك،»

استدار نحو فيني. وكذلك فعلت المرأة صاحبة بطاقات اليانصيب.

قالت: «وماذا عنك أيتها الشابة؟ إنها من أجل كلية آنجي الاصطناعية. فهي ستستقيل كما تعلمين. موافقة؟» ورفعت الابتسامة الصغيرة أكثر على وجهها. كان عليها أن تتوقف عن الابتسام سريعاً وإلا فإن جلدها سيتمزق بلا شك.

قال آرثر: «إيـ، اسمعي، خذي هذه،» ودفع إليها قطعة من فئة الخمسين قرشاً على أمل أن يراها تبتعد.

قالت المرأة بتنهيدة مبتسمة: «آه، لقد ربحنا المال، أليس كذلك؟ لقد قدمنا من لندن، أليس كذلك؟»

تمنى آرثر لو أنها لا تتكلم ببطء شديد.

قال ملوحاً بيده: «لا، لا داعي لذلك حقاً،» في حين حدقت بتروٍ بغيض إلى تمزق خمس بطاقات، واحدة تلو الأخرى.

أصرّت المرأة قائلة: «أوه، لكن لا بد لك أن تأخذ بطاقاتك، وإلا فلن تتمكن من المطالبة بجائزتك. إنها جوائز جميلة جداً كما تعلم. ملائمة جداً».

خطف آرثر البطاقات وقال شكراً لك، بأكثر ما أمكنه من حدة.

استدارت المرأة إلى فيني مجدداً.

- «والآن، ماذا عن»...

بصوت أقرب إلى الصياح، قال آرثر: «لا!» وشرح قائلاً: «هذه لها،» وهو يلوح بالبطاقات الخمس الجديدة.

- «آه، فهمت! ما ألطف ذلك!»

نظرت إليهما بإعياء.

- «حسناً، أتمنى لكما أن»...

قاطعها آرثر قائلاً: «نعم، شكراً لك».

وأخيراً ارتحلت المرأة إلى الطاولة المجاورة لطاولتهما. التفت آرثر بيأس إلى فيني، وارتاح إلى رؤيتها تهتز وهي تضحك بصمت.

تنهد وابتسم.

- «أين كنا؟»

- «كنت تناديني فيني، وكنت أوشك أن أطلب إليك ألا تفعل ذلك».

- «ما الذي تقصدينه؟»

حرّكت قشة العصير الخشبية الصغيرة في عصير الطماطم خاصتها.

- «لذلك سألتك إن كنت صديقاً لأخي. أو أخي نصف-الشقيق في الواقع. هو الوحيد الذي يناديني فيني، ولست معجبة بذلك».

- «إذاً، ما»...

- «فينتشيرتش».

- «ماذا؟»

- «فينتشيرتش».

- «فينتشيرتش».

نظرت إليه بتجهم.

قالت: «نعم، وأنا أراقبك كوشق لأرى إن كنت ستسألني السؤال السخيف نفسه الذي يسألني إياه الجميع إلى الحد الذي يجعلني أريد الصراخ. سأُصدم ويخيب ظني إن فعلت ذلك. بالإضافة إلى أني سأصرخ. لذا حذارِ».

ابتسمت، وهزت شعرها إلى الأمام فغطى وجهها، وحدقت إلى آرثر من خلف الشعر.

قال: «أوه، هذا ظلم بعض الشيء، أليس كذلك؟»

- «نعم».

- «حسناً».

قالت ضاحكة: «حسناً، يمكنك أن تسألني، وتنتهي من الأمر أيضاً. أفضل من أن تناديني فيني طوال الوقت».

قال آرثر: «من المفترض أن»...

- «لم يتبق لدينا سوى بطاقتين، أترى، وبما أنك كنت كريماً جداً عندما تكلمت معك آنفاً»...

قاطعها آرثر قائلاً: «ماذا؟»

كانت المرأة، ذات الشعر المجعد، والابتسامة، والدفتر شبه الفارغ من بطاقات المراحيض، تلوّح بآخر بطاقتين أمام أنفه.

- «فكّرت أن أعطيك الفرصة، لأن الجوائز جميلة جداً».

جعّدت أنفها قليلاً بثقة.

- «هدايا قيمة جداً. أعلم أنها ستعجبك. إنها من أجل هدية تقاعد آنجي كما ترى. نريد أن نجلب لها»...

قال آرثر: «كلية اصطناعية، نعم، خذي».

أخرج لها قطعتين إضافيتين من فئة عشرة قروش وأخذ البطاقتين.

بدا أن فكرة قد طرأت للمرأة. طرأت لها ببطء شديد. يمكنك رؤيتها تدخل رأسها كموجة طويلة على شاطئ رملي.

قالت: «يا إلهي، لست أقاطع أي شيء، أليس كذلك؟»

حدّقت بتوتر إليهما.

قال آرثر: «لا، لا بأس». وأكّد: «كل ما يمكن أن يكون بخير، هو بخير».

وأضاف: «شكراً لك».

قالت، بمتعة بهيجة من القلق: «أقول، لستما واقعين في الحب، هل أنتما كذلك؟»

قال آرثر: «من الصعب جداً معرفة ذلك، فلم تسنح بعد لنا الفرصة للحديث».

نظر إلى فينتشيرتش، كانت تبتسم.

هزت المرأة رأسها بمعرفة سريّة.

قالت: «سأخبرك عن الجوائز في غضون دقيقة،» وذهبت.

استدار آرثر متنهداً، نحو الفتاة التي وجد أن من الصعب معرفة إن كان واقعاً في حبها أو لا.

قالت: «كنت أوشكت أن تسألني سؤالاً».

قال آرثر: «نعم».

قالت فينتشيرتش: «يمكننا فعل ذلك معاً إذا أردت، هل وُجِدتُ»...

تابع معها آرثر: «... في حقيبة يد»...

قالا معاً: «... في مكتب الأمتعة الأيسر»...

ختما معاً: «... في محطة شارع فينتشيرتش»...

قالت فينتشيرتش: «والجواب هو لا».

قال آرثر: «حسناً».

- «حملت بي أمي هناك».

- «ماذا؟»

- «حملت»...

صاح آرثر مستهزئاً: «في مكتب الأمتعة الأيسر؟»

قالت: «لا، بالطبع لا. لا تكن سخيفاً. ما الذي سيفعله والداي في مكتب الأمتعة الأيسر؟» وقد صدمتها الفكرة إلى حد ما.

رد آرثر بسرعة: «حسناً، لا أعلم، أو بالأحرى»...

- «حصل الأمر في طابور البطاقة».

- «في»...

- «في طابور البطاقة. أو هذا ما يدعيانه. يرفضان الاستفاضة. لا يقولان سوى لا يمكنك تصديق كم من الممكن أن تملّي في طابور البطاقة، في محطة شارع فينتشيرتش».

ارتشفت برزانة من عصير الطماطم خاصتها ونظرت إلى ساعتها.

بابتهاج استمر آرثر يقرقر للحظة أو اثنتين.

قالت فينتشيرتش: «يتوجب علي الذهاب في غضون دقيقة أو اثنتين، ولم تبدأ بإخباري بعد عن ذلك الشيء الاستثنائي الهائل، الذي يجعلك متحمساً جداً لتزيله من صدرك».

قال آرثر: «لماذا لا تدعينني أقلك إلى لندن؟ اليوم السبت، ليس لدي أي شيء لأفعله، أود»...

قالت فينتشيرتش: «لا، شكراً لك، هذا لطف منك، لكن لا، أحتاج أن أكون بمفردي ليومين». ابتسمت وهزت كتفيها.

- «لكن»...

- «يمكنك إخباري مرة أخرى. سأعطيك رقمي».

راح قلب آرثر يهدر ويتحرك بعنف، في حين خربشت هي سبعة أرقام بالرصاص على قصاصة ورق وأعطته إياها.

قالت: «يمكننا الاسترخاء الآن». وابتسمت ابتسامة بطيئة ملأت قلب آرثر حتى ظن أنه سينفجر.

قال: « فينتشيرتش،» مستمتعاً بالاسم وهو يقوله، «أنا»...

قال صوت زاحف: «صندوق من المشروبات الكحولية بطعم الكرز، وأيضاً، أعرف أنك ستحب هذا، أسطوانة تسجيل لأغاني موسيقا مزامير القربة الاسكتلندية»...

قال آرثر: «نعم، شكراً لك، جميل جداً،»

قالت المرأة مجعدة الشعر: «فكّرت في أن أدعك تلقي نظرة إليها، بما أنك قادم من لندن»...

كانت تحمل الهدايا بفخر، عارضة إياها لآرثر كي يراها. رأى أنها بالفعل صندوق من المشروبات الروحية بطعم الكرز، وأسطوانة تسجيل لأغاني موسيقا مزامير القربة. ذلك ما كانت.

قالت: «سأدعك تحتسي شرابك بسلام الآن،» وربتت برفق على كتف آرثر المتوتر، «لكني كنت أعرف أنك ستود رؤيتها».

جعل آرثر عينيه تلتقيان بعيني فينتشيرتش من جديد، وفجأة أصبح متحيراً لقول شيء ما. أتت لحظة وذهبت بينهما، لكن تناغمها تحطم بسبب تلك المرأة الغبية اللعينة.

قالت فينتشيرتش: «لا تقلق،» ونظرت إليه بهدوء من فوق حافة كأسها، «سنتكلم من جديد». وارتشفت رشفة.

أضافت: «ربما لم يكن للأمر أن ينجح لولاها». ابتسمت ابتسامة ساخرة، وأسدلت شعرها أمام وجهها من جديد.

كان ذلك صحيحاً تماماً.

عليه أن يعترف بأن ذلك كان صحيحاً تماماً.

# الفصل الثالث عشر

في المنزل، في تلك الليلة، وبينما كان يثب في أرجاء المنزل متظاهراً أنه يمشي بخطى رشيقة عبر حقل من الذرة بحركة بطيئة، وينفجر على متواتر بضحك مفاجئ، فكّر آرثر في أن بإمكانه أيضاً احتمال سماع ألبوم موسيقا مزامير القربة الذي ربحه. كانت الساعة الثامنة وقرر أنه سيستمع، أو بالأحرى يجبر نفسه على الاستماع إلى الأسطوانة كاملة قبل أن يتصل بها. ربما عليه أن يترك الأمر إلى الغد. سيكون ذلك شيئاً حسناً. أو في وقت من أوقات الأسبوع القادم.

لا. لا مناورات. إنه يريدها، ولم يهتم بمن عرف الأمر. بكل تأكيد وبلا ريب أرادها، وقّرها، اشتاق إليها، أراد أن يفعل أشياء أكثر من الأشياء المألوفة معها.

في الحقيقة، لقد انتبه إلى نفسه يقول أشياء مثل «يبيي،» في حين كان يثب بسخافة في أرجاء المنزل. عيناها، شعرها، صوتها، كل شيء...

توقف.

سيضع أسطوانة موسيقا مزامير القربة. ومن ثم سيتصل بها.

أو لعله سيتصل بها أولاً؟

لا. ما سيفعله هو التالي. سيضع أسطوانة موسيقا مزامير القربة. سيستمع إليها، إلى كل نواح النادبات فيها. من ثم سيتصل بها. كان ذلك الترتيب الصحيح. كان ذلك ما سيفعله.

كان قلقاً من ملامسة الأشياء خوفاً من أن تنفجر إذا فعل ذلك.

أمسك بالأسطوانة، لكنها فشلت في الانفجار. أخرجها من غلافها. فتح مشغل الأسطوانات، شغل مكبر الصوت. كلاهما نجا. قهقه بتفاهة وهو ينزل الإبرة إلى الأسطوانة.

جلس واستمع بوقار إلى أغنية «جندي اسكتلندي».

استمع إلى أغنية «الكياسة المذهلة».

استمع إلى أغنية تتحدث عن واد صغير أو شيء من ذلك.

تفكّر في وقت الغداء الرائع الذي قضاه.

كانا قد أوشكا أن يغادرا عندما تشتتا بانفجار بغيض من الصياح. كانت المرأة ذات الشعر المجعد بشكل مرعب تلوح لهما عبر الغرفة كطائر غبي مهيض الجناح. التفت إليهما جميع من في الحانة وبدوا كأنهم يتوقعون رد فعل ما.

لم يستمعا إلى الجزء من الحديث حول كم ستكون آنجي مسرورة وراضية بالـ /٤.٣٠/ باوند الذي ساعد الجميع في جمعها من أجل تكلفة كليتها الاصطناعية، لم يدركا أن شخصاً ما من الطاولة المجاورة قد ربح صندوق المشروبات الروحية بطعم الكرز، ولزمهما لحظة أو اثنتين

ليدركا حقيقة أن السيدة الصائحة كانت تحاول أن تسألهما إن كانت البطاقة رقم ٣٧ بحوزتهما.

اكتشف آرثر أنها بحوزته. نظر بغضب إلى ساعته.

دفعته فينتشيرتش قائلة: «هيا، اذهب وخذها. لا تكن سريع الغضب. ألقِ عليهم خطاباً جميلاً عن مدى سرورك، ويمكنك الاتصال بي لتخبرني كيف انقضى الأمر. أريد سماع الأسطوانة. هيا».

نقرت ذراعه بإصبعها وغادرت.

اعتقد المرتادون أن خطابه في قبول الهدية مسرف في العاطفة، فالهدية لم تكن في النهاية سوى ألبوم لموسيقا مزامير القربة.

فكر آرثر في الأمر، واستمع إلى الموسيقا، واستمر يضحك.

# الفصل الرابع عشر

صوت رنين الهاتف.

صوت رنين الهاتف.

صوت رنين الهاتف.

- «مرحباً، نعم؟ نعم، هذا صحيح. نعم. عليك أن ترفع صوتك، هناك كثير من الضوضاء هنا. ماذا؟»

- «لا، لا أعمل إلا على طاولة الحانة في الأمسيات. يوثين من تعد الغداء، وجيم المالك. لا، لم أكن هناك. ماذا؟»

- «عليك أن ترفع صوتك».

- «ماذا؟ لا، لا أعرف شيئاً عن اليانصيب. ماذا؟»

- «لا، لا أعرف شيئاً عن ذلك. انتظر، سأنادي جيم».

وضعت الساقية يدها على السماعة ونادت في الحانة المفعمة بالضجيج.

- «إيه، جيم، هنالك رجل عبر الهاتف يقول إنه ربح في يانصيب أو شيء من هذا القبيل. لا ينفك يقول أن البطاقة رقمها ٣٧ وإنه ربح».

رد الساقي صائحاً: «لا، كان هناك شخص في الحانة ربح».

- «إنه يقول، هل لدينا البطاقة؟»

- «حسناً، كيف له أن يعتقد أنه ربح إن لم تكن لديه بطاقة حتى؟»

- «يقول جيم، كيف لك أن تعتقد أنك ربحت إن لم تكن لديك بطاقة حتى. ماذا؟»

وضعت يدها على السماعة مجدداً.

- «جيم، إنه لا ينفك يشتم في وجهي. يقول إن هناك رقماً على البطاقة».

- «بالطبع هناك رقم على البطاقة، إنها بطاقة يانصيب لعينة، أليست كذلك؟»

- «يقول إنه يقصد أن عليها رقم هاتف».

- «هلا وضعتِ سماعة الهاتف وعدتِ إلى خدمة الزبائن اللعينين؟»

# الفصل الخامس عشر

على بعد ثماني ساعات غرباً، جلس رجل وحيداً على شاطئ ينعي خسارة فادحة. لم يتمكن من التفكير في خسارته سوى بجرعات صغيرة واحدة بعد أخرى، لأن الأمر برمته كان أعظم من أن يُحتَمَل.

راقب أمواج المحيط الهادئ الطويلة والبطيئة تأتي على طول الرمال، وانتظر، وانتظر للّاشيء الذي علم أنه يوشك أن يحدث. ومع حلول موعد عدم حدوثه، لم يحدث، في موعده، وهكذا ذوت الظهيرة بنفسها وهبطت الشمس خلف خط البحر الطويل، وانقضى اليوم.

كان الشاطئ شاطئاً لن نسميه، لأن منزله المنعزل كان هناك، لكنه امتداد رملي صغير في مكان ما على طول مئات الأميال من الساحل الذي اتجه غرباً من لوس أنجلوس، الذي وُصِفَ في النسخة الجديدة من دليل المسافر إلى المجرة في أحد الأبواب بأنه «عقيم، غبي، نتن، وما هي تلك الكلمة الأخرى، وكل ما هو رديء، ساعدوني،» ووصف في باب آخر، كُتِبَ بعد ساعات عدة فقط، على أنه «يشبه آلاف أميال مربعة عدة من البريد الدعائي لأميريكان إكسبريس، لكن من دون الإحساس بالعمق المعنوي. بالإضافة إلى أن الهواء، لسبب ما، أصفر».

يتجه الساحل غرباً، ومن ثم ينعطف شمالاً إلى خليج سان فرانسيسكو الضبابي، الذي يصفه الدليل بأنه «مكان جيد للذهاب. من

السهل جداً الاعتقاد أن كل من تقابلهم هناك هم أيضاً مسافرون فضائيون. البدء بدين جديد لك هو طريقتهم في قول مرحباً. من الأفضل لك أن تقول لا لثلاثة أسئلة من أصل أي أربعة موجهة إليك، قبل أن تكون استقررت واعتدت المكان، لأن هناك العديد من الأشياء الغريبة تحصل هناك، بعض منها قد يكون مميتاً لغريب غير محترز». وُصِفَت مئات الأميال المجعدة من الجروف والرمال، أشجار النخيل، الكسارات، ومناظر الغروب، في الدليل بأنها «ناجحة. وجيدة».

وفي مكان ما من هذا الامتداد الناجح والجيد للساحل، يقع منزل هذا الرجل العصي على العزاء، رجل عدّه كثيرون مجنوناً. وكما كان يخبر الناس، فإن السبب في ذلك هو أنه مجنون.

أحد الأسباب العديدة جداً التي عدّه الناس من أجلها مجنوناً، غرابة منزله المفرطة حتى لأرض، فقد كانت معظم منازل الناس فيها غريبة على نحو أو آخر.

كان منزله يدعى القسم الخارجي من المصح العقلي.

كان اسمه ببساطة جون واتسون، على الرغم من أنه فضل أن يُدعَى ونكو العاقل، إذ إن بعضاً من أصدقائه وافقوا على فعل ذلك على مضض.

يوجد في منزله عدد من الأشياء الغريبة، بما فيها حوض رمادي من الزجاج نقشت عليه ثماني كلمات.

يمكننا التكلم عنه لاحقاً أكثر. هذه مجرد فترة فاصلة لمشاهدة الشمس تغرب، ولنقول إنه كان هناك يشاهدها.

لقد خسر كل ما اهتم لأجله، وهو الآن ينتظر نهاية العالم ببساطة، غير مدرك تماماً أن الأمر تم وانتهى.

# الفصل السادس عشر

بعد يوم أحد مقرف أُمضِيَ بإفراغ حاويات القمامة خلف حانة في تانتن، وعدم إيجاد أي شيء، لا بطاقة يانصيب، ولا رقم هاتف، جرّب آرثر كل ما يستطيع تجريبه لإيجاد فينتشيرتش، ومر مزيد من الأسابيع وهو يجرّب المزيد من الأمور.

غَضِبَ ولام نفسه، لام القدر، لام الكوكب وطقسه. حتى إنه، في حمى حنقه وحزنه، ذهب وجلس في مقهى محطة خدمة الطريق السريع حيث كان جالساً في ذلك اليوم قبل أن يلتقيها.

- «إن الرذاذ الهاطل هو ما يجعلني بالتحديد كئيباً».

قاطعه آرثر: «اصمت من فضلك ولا تتكلم عن الرذاذ».

- «سأصمت إن توقف هطول الرذاذ».

- «اسمع»...

- «لكن سأخبرك بما سيحدث عندما يتوقف هطول الرذاذ، هل أخبرك؟»

- «لا».

- «الرعد».

- «ماذا؟»

- «سوف تُرعد».

حدّق آرثر من فوق حافة كوب القهوة خاصته إلى العالم الخارجي المتجهم. أدرك أنه مكان لا تُرجى منفعة من الوجود فيه، ولقد أُجبِر فيه بالخرافة بدلاً من المنطق. ومع ذلك، فإن القدر، ليغويه بمعرفة أن مصادفات كهذه قد تحصل بالفعل، قد اختار أن يجمعه مجدداً بسائق الشاحنة الذي صادفه هناك في المرة الماضية.

كلما حاول تجاهله أكثر، وجد نفسه مسحوباً أكثر إلى دوامة الحديث الساخط الذي يجريه مع الرجل.

قال آرثر على نحو مبهم: «أظن أنها تتوقف عن الهطول». ولعن نفسه لأجل عناء محاولة قول ذلك.

- «ها!»

هز آرثر كتفيه. عليه أن يذهب. هذا ما عليه فعله. عليه أن يذهب وحسب.

قال سائق الشاحنة بصوت مرتفع: «المطر لا يتوقف عن الهطول!» ضرب الطاولة، أراق كوب الشاي الذي يخصه، وفي الواقع، للحظة بدت الأبخرة تتصاعد منه.

لا يمكنك أن تتجاهل ملاحظة كهذه من دون أن ترد عليها.

قال آرثر: «بالطبع، يتوقف المطر عن الهطول،» كاد ذلك يكون دحضاً أنيقاً، لكن كان يجب أن يُقال.

قال الرجل باهتياج: «إن المطر... يهطل... طوال الوقت،» وهو يضرب الطاولة بالتزامن مع كلماته.

هز آرثر رأسه وقال: «من الغباء القول إن المطر يهطل طوال الوقت».

ارتفع حاجبا الرجل وقد شعر بالإهانة.

- «غباء؟ لم غباء؟ لم من الغباء القول إن المطر يهطل طوال الوقت، إن كان المطر يهطل طوال الوقت؟»

- «لم يهطل المطر البارحة».

- «هطل المطر في دارلينغتن»[1].

توقف آرثر عن الكلام بضجر.

سأل الرجل: «ستسألني أين كنت البارحة إذاً، أليس كذلك؟»

قال آرثر: «لا،»

- «إنما أتوقع أنه يمكنك التخمين».

- «تتوقع ذلك».

- «مكان يبدأ اسمه بحرف الدال»

- «يبدأ بحرف الدال».

- «وأقول لك إن المطر كان يهطل بغزارة هناك».

قال شخص غريب عابر، يرتدي معطفاً فضفاضاً، لآرثر بمرح: «لا أنصحك بالجلوس هنا يا صديقي، هذه زاوية السحابة الركامية. وهي محجوزة خصيصاً لهذا العجوز الذي لا ينفك يقول، قطرات المطر تتساقط

---

(١) بلدة في إنكلترا – المترجم.

على رأسي دائماً. وهناك زاوية مثل هذه محجوزة له في كل مقاهي الطريق السريعة بين هنا والدنمارك المشمسة. نصيحتي لك، حاول تجنبه. كيف حالكم. كيف حالك روب؟ مشغول؟ هل ركّبت إطارات الطقس المطير؟»

مرّ الرجل إلى جانبهما مرحاً، وذهب ليخبر نكتة عن بريت إيكلاند[1] لشخص يجلس إلى طاولة مجاورة، الذي انفجر ضاحكاً.

قال روب ماكينا: «أرأيت، لا أحد من أولاد الزنا أولئك يأخذني على محمل الجد»، انحنى إلى الأمام زامّاً عينيه، وأضاف على نحو غامض: «لكنهم يعرفون أن ذلك صحيحاً!»

عبس آرثر.

هسهس السائق والمالك الوحيد لشركة ماكينا للنقل في الظروف الجوية كافة: «مثل زوجتي، تقول إن ذلك هراء وإني أتذمر وأشتكي من لا شيء، لكن،» توقف على نحو مثير، وأطلق نظرات خطرة من عينيه، «هي دائماً تدخل الثياب المغسولة إلى الداخل عندما أتصل وأقول إني في طريقي إلى المنزل!» لوّح بملعقة القهوة خاصته وقال: «ما الذي تفهمه من ذلك؟»

- «حسناً»...

تابع روب: «لدي كتاب، لدي كتاب، دفتر يوميات. احتفظت به لخمسة عشر عاماً، وفيه كل الأماكن التي زرتها. كل يوم. وفيه أيضاً كيف كانت حالة الطقس. وكان الطقس متماثلاً،» وزمجر قائلاً: «رهيباً. فوق

---

(١) ممثلة ومطربة سويدية ظهرت في ستينيات القرن الماضي – المترجم.

إنكلترا، اسكتلندا، ويلز، كنت هناك. في كل القارة، إيطاليا، ألمانيا، ذهاباً وإياباً إلى الدنمارك، ذهبت إلى يوغوسلافيا. كلها مدونة ومخططة». وأضاف: «حتى عندما ذهبت لزيارة أخي في سياتل».

قال آرثر وهو يقف استعداداً للذهاب: «حسناً، ربما من الأفضل لك أن تريه لأحد ما».

قال روب ماكينا: «سأفعل.»

وفَعَل.

# الفصل السابع عشر

بؤس. اكتئاب. المزيد من البؤس والمزيد من الاكتئاب. كان في حاجة إلى خطة، وقد وضع لنفسه واحدة.

سيكتشف مكان وجود كهفه.

عاش في كهف، عندما كان على أرض ما قبل التاريخ، لم يكن كهفاً لطيفاً، بل كهفاً قذراً، لكن... ليس هناك من لكن. كان كهفاً قذراً تماماً، ولقد كرهه. إلا أنه عاش فيه لخمس سنوات، ما جعله منزلاً على نحو ما أو آخر، والشخص يحب أن يتتبع أثر منازله. كان آرثر دينت شخصاً من هذا النوع، لذا ذهب إلى إيكزيتر[1] ليشتري حاسوباً.

بالطبع، كان ذلك ما أراده بحق، حاسوباً. لكنه شعر بأنه يجب أن تكون لديه غاية جادة قبل أن يذهب ببساطة وينفق كثيراً من المال على شيء قد يظنه الناس خطأً مجرد لعبة. لذا كانت هذه غايته الجادة. يريد أن يحدد بدقة مكان الكهف على أرض ما قبل التاريخ. وشرح ذلك للرجل في المتجر.

قال الرجل في المتجر: «لماذا؟»

كان ذلك سؤالاً دقيقاً.

---

(١) مدينة في إنكلترا – المترجم.

قال الرجل في المتجر: «حسناً، لا عليك، كيف؟»

- «حسناً، كنت آمل أنه باستطاعتك مساعدتي في ذلك».

تنهد الرجل وانخفض كتفاه.

- «هل لديك كثير من الخبرة في الحواسيب؟»

تساءل آرثر إن كان عليه أن يذكر إيدي، حاسوب سفينة قلب الذهب، الذي كان في وسعه القيام بالعمل في غضون ثانية، أو الفكر العميق، أو... لكنه قرر ألا يفعل.

قال: «لا».

قال الرجل في التجر لنفسه: «يبدو أنه بعد ظهر مضحك».

في كل حال، اشترى آرثر حاسوب آبل. في غضون أيام عدة حصل على برنامج فلكي، عيّن على الخريطة تحركات النجوم، ورسم أشكالاً بيانية أولية توضّح كيفية تذكره لتموضع النجوم في السماء عندما كان ينظر إليها ليلاً من كهفه، وعمل عليها بانشغال لأسابيع عدة، بابتهاج، وهو يؤجل الاستنتاج الذي علم أنه لا بد سيصل إليه: كان المشروع برمته مضحكاً تماماً.

كانت الرسومات الأولية من الذاكرة عديمة الفائدة. هو لم يعلم حتى كم مضى عليها من الزمن، إلا من تخمين فورد بريفيكت الأولي للوقت بأنه «مليونا سنة» وهو ببساطة لم يتحقق من الأمر.

ومع ذلك، توصل في النهاية إلى طريقة يمكنها على الأقل أن تعطي نتيجة. قرر أن يتجاهل حقيقة أنه سيكون محظوظاً بالوصول إلى المجرة

الصحيحة مع كل الاختلاط الاستثنائي للقواعد الأساسية، والتقديرات الجامحة، والتخمينات السريّة التي كان يستخدمها. فتابع وحصل على نتيجة.

سيطلق عليها اسم النتيجة الصحيحة. من سيعرف؟

في أثناء ذلك، ومن خلال الآلاف المؤلفة لمصادفات القدر العصية على الفهم، حصل على النتيجة الصحيحة تماماً، على الرغم من أنه بالطبع لن يعرف ذلك. لذا ذهب إلى لندن وقرع الباب المناسب.

- «أوه، ظننت أنك ستتصل بي أولاً».

حدّق آرثر فاغراً فاه من الدهشة.

قالت فنيتشيرتش: «يمكنك الدخول لدقائق عدة فقط، كنت أوشك أن أغادر.

# الفصل الثامن عشر

يوم صيفي في إزلينغتون، ممتلئ بالنحيب الحزين لآلية ترميم القطع الأثرية.

كانت فينتشيرتش مشغولة على نحو حتمي فترة الظهيرة، لذا تجوّل آرثر شارداً بسعادة تامة ونظر إلى كل الورش، التي كان يوجد منها عدد لا بأس به في إزلينغتون، إذ إن أي شخص يحتاج بانتظام إلى أدوات عمل خشبية قديمة، خوذ من حرب البوير، عربة، أثاث مكتب، أو سمكة، سيؤكد ذلك بسرور.

انهمرت أشعة الشمس فوق الحدائق السطحية، انهمرت على مهندسين معماريين وسمكريين، انهمرت على محامين ولصوص. انهمرت على طبق بيتزا، وانهمرت على بنود حساب وكيل عقاري.

انهمرت على آرثر الذي دخل متجر أثاث مرمم.

قال المالك بابتهاج: «إنه مبنى مثير للاهتمام، يوجد قبو بممر سري يفضي إلى حانة قريبة. بُنِيَ للأمير ولي العهد، كما يبدو، حتى يتمكن من الهروب عندما يحتاج إلى ذلك».

قال آرثر: «تقصد في حال أمسك به أحدهم يشتري أثاثاً مصنوعاً من خشب الصنوبر».

قال المالك: «لا، ليس لذلك السبب».

قال آرثر: «أستمحيك عذراً، أنا سعيد بشدة».

- «فهمت».

تابع آرثر تجوله بشرود ووجد نفسه أمام مكاتب السلام الأخضر. تذكر محتويات الملف المعنون «أمور يجب عملها – ملحّ!» الذي لم يكن قد فتحه مجدداً في ذلك الوقت. تابع خطاه بابتسامة مرح وقال إنه سيأتي ليعطيهم بعض الأموال ليساعد في تحرير الدلافين.

قالوا له: «ظريف جداً، اغرب من هنا».

لم يكن هذا بالتحديد الرد الذي توقع، لذا حاول مجدداً. غضبوا منه بشدة هذه المرة، لذا ترك بعض المال كيفما اتفق وخرج عائداً إلى أشعة الشمس.

عاد بعد السادسة بقليل إلى منزل فينتشيرتش في الزقاق، وهو يمسك بزجاجة شامبانيا.

قالت: «أمسك هذا،» وألقت في يده حبلاً ثخيناً، ثم اختفت في الداخل عبر الباب الأبيض الخشبي الكبير، تدلى منه قفل كبير من على قضيب حديدي أسود.

كان المنزل في السابق إصطبلاً في زقاق صناعة خفيفة خلف مبنى إزلينغتون الزراعي الملكي المهجور. وبالإضافة إلى أبواب الإصطبل الكبيرة، كان للمنزل باب مدخل عادي الشكل مغطى بألواح خشبية مصقولة بأناقة، وعليه قارعة باب سوداء في شكل دلفين. الشيء الغريب في هذا الباب هو درجه، الذي كان بارتفاع تسع أقدام، حيث إن الباب كان

مركّباً في القسم العلوي من الطابقين، ومن المفترض أنه استُخدِم في الأصل لإحضار التبن للخيول الجائعة.

نتأت بكرة قديمة من القرميد فوق المدخل، وفوقها تعلق الحبل الذي كان يمسكه آرثر. أمسك الطرف الآخر من الحبل بكمنجة متدلية.

فُتِحَ الباب فوق رأسه.

قالت فينتشيرتش: «حسناً، اسحب الحبل، ثَبّت الكمنجة، وارفعها إلي».

سحب آرثر الحبل، وثبت الكمنجة.

قال: «لا يمكنني أن أسحب الحبل مجدداً، من دون أن أترك الكمنجة».

انحنت فينتشيرتش إلى الأسفل وقالت: «أنا أثبت الكمنجة، اسحب الحبل».

ارتفعت الكمنجة إلى مستوى المدخل وهي تتأرجح قليلاً، ناورت بها فينتشيرتش حتى أدخلتها.

صاحت إلى الأسفل: «اصعد أنت».

التقط آرثر حقيبة أغراضه ودخل عبر أبواب الإصطبل وهو يشعر بالوخز.

كانت الغرفة السفلية، التي رآها سريعاً من قبل، غير مستوية وممتلئة بالخردة. كانت هناك عصّارة ملابس ضخمة وثابتة، وفي زاوية تكدس عدد مذهل من مغاسل المطبخ. كما كانت هناك حمّالة أطفال، ارتعب آرثر للحظة من رؤيتها، لكنها كانت قديمة وممتلئة بالكتب فقط.

كانت الأرضية من الإسمنت الملون منذ زمن، متصدعة على نحو مثير. وكان هذا مقياس مزاج آرثر لما راح يصعد الدرجات الخشبية الضعيفة في الزاوية البعيدة. حتى أرضية الإسمنت المتصدعة بدت له شيئاً حسياً إلى حد لا يطاق تقريباً.

قالت فينتشيرتش بعذوبة في حين انبثق آرثر عبر الأرضية: «لا ينفك يخبرني صديق معماري لي كيف يمكنه فعل أشياء رائعة بهذا المكان. هو يواظب على المجيء، يقف بذهول ويتمتم حول الفراغ والأشياء والأحداث والصفات الرائعة للضوء، من ثم يقول إنه في حاجة إلى قلم رصاص، ويختفي لأسابيع. لذلك فشلت حتى الآن الأشياء الرائعة في أن تحدث لهذا المكان».

فكّر آرثر حين كان ينظر حوله، أن الغرفة العلوية، في كل حال، كانت في الواقع مذهلة إلى حد كبير. كانت زينتها بسيطة، مفروشة بأشياء مصنوعة من الوسائد ومجموعة نظام صوت مع مكبرات صوت يمكن أن تذهل الأشخاص الذين وضعوا أحجار الستونهنج[1].

كانت هناك زهور شاحبة وصور مثيرة للاهتمام.

أما غرفة العلية فكانت لها هيئة الاستديو، حيث ضمت سريراً وحماماً، يمكنك أن تؤرجح قطة فيه، كما قالت فينتشيرتش وأضافت: «لكن فقط إن كانت قطة صبوراً إلى حد ما ولم تهتم لبعض التصدعات البغيضة في الرأس. لذا، ها أنت ذا».

«نعم».

---

(١) مكان صخري قديم في بريطانيا – المترجم.

نظرا إلى بعضهما للحظة.

استطالت اللحظة، وفجأة أصبحت لحظة طويلة جداً إلى حد أنه أضحى من الصعب معرفة من أين يأتي كل ذلك الوقت.

بالنظر إلى آرثر، الذي كان يستطيع أن يحتال على الأمر ليشعر بالتوتر إن تُرِكَ مدة كافية في معمل جُبن سويسرية، كانت تلك لحظة من لحظات الإلهام الثابتة.

شعر فجأة بأنه حيوان مقيد في حديقة حيوانات وقد استيقظ في صباح يوم ما ليجد باب قفصه مفتوحاً بهدوء، وحشائش السافانا القرمزية تمتد بكآبة إلى الشمس البعيدة المشرقة، في حين تستيقظ من حوله أصوات جديدة.

تساءل ما قد تكون تلك الأصوات الجديدة وهو يحدق إلى وجهها المتعجّب بصراحة وعينيها اللتين ابتسمتا بدهشة مشتركة.

لم يدرك أن الحياة تتكلم إليك بصوت يجلب لك إجابات عن أسئلة تسألها باستمرار، لم يسبق له وهو واع أن يكتشف أو يميز نغمة هذا الصوت حتى الآن عندما قالت له شيئاً لم تقله له من قبل، الذي كان «نعم».

في النهاية أشاحت فينتشيرتش بعينيها بهزة صغيرة من رأسها.

قالت: «أعرف أن عليّ تذكر أنك من النوع الذي لا يمكنه الاحتفاظ بقطعة ورق صغيرة لدقيقتين من دون أن يربح اليانصيب بها».

استدارت مبتعدة وقالت بسرعة: «هيا نمشِ إلى حديقة هايد، سأبدل ملابسي إلى شيء أقل ملائمة».

كان رداؤها الذي ترتديه قاتماً بشدة، ولم يكن بالجميل، كما أنه لم يناسبها جداً.

قالت: «أرتديه خصيصاً من أجل معلم الكمنجة خاصتي، إنه رجل لطيف، لكن أظن في بعض الأحيان أن عزف الأوتار يثيره بعض الشيء. سأنزل بعد لحظة».

ركضت بخفة على الدرجات إلى الاستديو، ونادت نحو الأسفل: «ضع الزجاجة في البراد لوقت لاحق».

لاحظ آرثر وهو يضع زجاجة الشمبانيا في البراد أن هنالك زجاجة مثلها إلى جانبها.

مشى إلى النافذة ونظر خارجاً. استدار وراح ينظر إلى أسطوانات الموسيقا خاصتها، وسمع من الأعلى حفيف ثوبها وهو يسقط على الأرض. تحدث إلى نفسه عن طبيعته كشخص. قال لنفسه بصرامة إنه الآن، في الأقل، سيثبت عينيه بقوة وصرامة على شوكة الأسطوانات، ويقرأ العناوين، ويهز برأسه بتقدير، ويعدّ الأشياء اللعينة إن اضطر إلى ذلك. ويبقي رأسه منخفضاً.

على نحو كامل، وحرفي، وذليل، كان ذلك ما فشل في فعله.

كانت تحدق إليه من الأعلى بقوة كبيرة إلى درجة أنها كادت لم تلحظ أنه كان ينظر إليها إلى الأعلى. من ثم هزّت رأسها فجأة. لبست فستاناً خفيفاً واختفت بسرعة داخل الحمام.

خرجت بعض لحظة مبتسمة ترتدي قبعة شمسية، ونزلت بخطى رشيقة وخفيفة على نحو رائع. كان ذلك نوعاً غريباً من حركات الرقص

لديها. انتبهت إلى أنه لاحظ ذلك فأمالت رأسها قليلاً وقالت: «هل يعجبك؟»

قال ببساطة: «تبدين رائعة،» لأنها كانت كذلك.

قالت: «مممم،» كأنه لم يجب عن سؤالها كما ينبغي.

أغلقت باب المدخل العلوي الذي ظل مفتوحاً كل ذلك الوقت، ونظرت في الغرفة الصغيرة لتتأكد من أنها في وضع مناسب لتُترَك قليلاً. نظر آرثر إلى حيث كانت تنظر، وبينما كان ينظر في الاتجاه المقابل، سحبت شيئاً من الدرج ووضعته في الحقيبة القماشية التي كانت تحملها.

نظر إليها آرثر مجدداً.

- «هل أنت جاهزة؟»

قالت بابتسامة مرتبكة بعض الشيء: «هل تعلم أن هنالك خطباً بي؟»

كانت صراحتها مفاجئة لآرثر الذي قال: «حسناً، سمعت أشياء مبهمة عن»...

قالت: «لا أدري كمّ الأشياء التي تعرفها عني، لكن إن سمعتها من الشخص الذي أظنك سمعتها منه فهي غير صحيحة. يميل راسل إلى اختلاق الأمور، لأنه لا يستطيع التعامل مع الواقع كما هو».

أصيب آرثر بوخزة من القلق.

قال: «ما الأمر إذاً؟ أتستطيعين إخباري؟»

قالت: «لا تقلق، ليس بالشيء السيئ إطلاقاً. إنه غير اعتيادي فقط، غير اعتيادي إلى أبعد حد».

لمست يده، ومن ثم انحنت إلى الأمام وقبّلته قبلة صغيرة وقالت: «سأكون مهتمة جداً لمعرفة إن كنت ستتمكن من اكتشاف ماهية الأمر هذه الليلة».

شعر آرثر لو أن أحداً ما نقره في هذه اللحظة فإنه سيرنّ، مثل صوت الرنين العميق والطويل الذي أصدره حوض السمك الرمادي الذي يخصه عندما نقره بظفر إبهامه.

# الفصل التاسع عشر

كان فورد بريفيكت غاضباً من إيقاظه المستمر على صوت إطلاق النار.

أخرج نفسه من باب غرفة الصيانة التي أحالها غرفة نوم له عن طريق إيقاف عمل بعض الآلات الأكثر ضجيجاً إلى جوارها وتبطينها بالمناشف. هبط سلم الوصول وطاف في الأروقة خلسة بكآبة. كانت الأروقة تسبب رهاب الأماكن الضيقة وسيئة الإضاءة، أما الضوء الموجود فكان دائم الاضطراب وباهتاً، حيث إن الطاقة كانت تندفع في هذا الاتجاه أو ذاك عبر السفينة مسببة اهتزازات ضخمة وأصوات همهمة مزعجة.

إلا أن ذلك لم يكن السبب.

توقف قليلاً واتكأ على الحائط مع انطلاق شيء بدا مثل مثقب كهربائي فضي صغير عبر الرواق المظلم، متجاوزاً إياه وهو يصدر صوتاً حارقاً بغيضاً.

ولم يكن ذلك السبب أيضاً.

تسلّق بكسل عبر باب حاجز ووجد نفسه في رواق أكبر، ومع ذلك رديء الإضاءة.

تمايلت السفينة. إنها تتمايل منذ مدة، لكن هذه المرة كانت أخطر. مرت فصيلة من الروبوتات وهي تصدر قعقعة رهيبة.

ولا يزال السبب غير ذلك.

كان هناك دخان لاذع يتصاعد من أحد أطراف الرواق، لذا مشى فورد على طول الرواق إلى الجهة المقابلة.

مرّ بسلسلة من شاشات المراقبة المركّبة في الجدران خلف صفائح من البلاستيك الشفاف المقوى، لكنه مخدوش إلى أبعد حد.

أظهرت إحدى الشاشات شكلاً رهيباً لزاحف أخضر كثير الحراشف يتبجح ويتحدث بصوت عال عن نظام التصويت المفرد القابل للنقل. كان من الصعب معرفة إن كان يمدحه أو يذمه، لكن من الواضح أن شعوره كان قوياً تجاهه. خفّض فورد الصوت.

فذلك لم يكن السبب.

مرّ بشاشة أخرى، كانت تعرض دعاية لنوع من معاجين الأسنان يبدو أنه يشعرك بالحرية إن استخدمته. كانت هناك موسيقا بغيضة مدوية معه أيضاً.

إنما، السبب لم يكن ذلك.

مرّ بشاشة أخرى، ثلاثية الأبعاد وأكبر، كانت تعرض المكان خارج سفينة شاشيزية فضية كبيرة.

بينما كان يشاهد، أتى ألف طراد نجمي آلي مدجج بالسلاح من كوكب زيرزلا، وراحت تتحضر حول الظل المعتم للقمر، وانعكست ظلال الطرادات على قرص نجم شاشيز، وفي الوقت نفسه أطلقت السفينة عليهم بريقاً شديداً من القوى الفظيعة غير الاعتيادية من كل فتحاتها.

كان ذلك هو السبب.

هزّ فورد رأسه بانزعاج، وفرك عينيه. جلس على الجسم المحطم لروبوت فضي غبي، الذي من الواضح أنه كان يشتعل في وقت سابق لكنه برد الآن تماماً للجلوس عليه.

تثاءب وأخرج نسخة دليل المسافر إلى المجرة الخاصة به من حقيبته. شغّل الشاشة وقلّب متكاسلاً في مداخل المستويين الثالث والرابع. كان يبحث عن علاجات جيدة للأرق. وجد «راحة»، وهو الشيء الذي افترض أنه يحتاجه. ثم وجد «راحة وشفاء» وكان يوشك أن يتجاهل ذلك عندما طرأت له فجأة فكرة أفضل. نظر إلى شاشة المراقبة. كانت ضراوة المعركة تزداد في كل ثانية، وكان الصوت مرعباً. اهتزت السفينة بضراوة، وأحدثت ضجيجاً، وتمايلت مع كل إرسال أو تلقّ جديد لدفعات الطاقة المذهلة.

نظر إلى الدليل من جديد وقلّب عبر بعض المواقع الملائمة. ضحك فجأة، ومن ثم راح ينقب في محفظته مجدداً.

أخرج وحدة تخزين صغيرة، ومسح عنها الفتات والزغب، وركَّبها في جهاز توصيل على ظهر الدليل.

لما خزنت كل المعلومات التي اعتقد أنها مناسبة، فصل وحدة التخزين، ووضعها برفق في راحة كفه، ووضع الدليل في محفظته، واصطنع ابتسامة، وذهب ليبحث عن بنوك البيانات الخاصة بحاسوب السفينة.

# الفصل العشرون

قال الصوت بجديّة: «إن الهدف من خفضِ الشمس في أمسيات الصيف، ولا سيما في الحدائق، هو جعل صدور الفتيات ترتفع وتنخفض على نحو أوضح للعين. أنا مقتنع بأن هذه هي الحالة».

قهقه آرثر وفينتشيرتش لسماعهما ذلك وهما ماران. زادت من تشبثها به للحظة.

قال الشاب ذو الشعر الأحمر المجعد والأنف الطويل الدقيق الذي كان يعترض من أريكته إلى جانب الأفعواني: «وأنا متأكد أنه لو أنهى المرء الجدال، لوجده زاخراً بفطرية مطلقة ومنطق من كل شيء،» وأكد لرفيقه النحيل ذي الشعر الداكن الذي كان جالساً في الأريكة المجاورة وهو يشعر بالاكتئاب من بقعه، «كان يتحدث عنه دارون. هذا مؤكد. هذا لا يقبل الجدل». وأضاف: «وأنا أحبه».

استدار برشاقة ونظر عبر نظارته بعينين نصف مغلقتين إلى فيتشيرتش.

قادها آرثر بعيداً.

قالت عندما توقفت عن القهقهة: «هيا، التخمين التالي».

قال: «حسناً، مرفقك، مرفقك الأيسر، هناك خطب ما بمرفقك الأيسر».

قالت: «أخطأت مجدداً، خطأ تام، مسار تخميناتك خطأ تماماً».

كانت شمس الصيف تغرب عبر الأشجار في المتنزه، بدت كأنها... لا داعي للتبجح بالكلام. إن متنزه هايد فاتن. كل ما فيه فاتن ما عدا النفايات صباح أيام الاثنين. حتى طيور البط فاتنة. كل مَن يتمكن مِن عبور متنزه بارك عند المغيب في الصيف من غير أن يشعر بالإثارة، من المحتمل أنه يعبره بسيارة إسعاف ووجه مغطى بملاءة.

في هذا المتنزه يمارس الناس أموراً غير اعتيادية أكثر من أي مكان آخر. وجد آرثر وفينتيشرتش رجلاً بسروال قصير يتدرب على مزامير القربة وحده تحت شجرة. توقف الرجل ليطارد زوجين أمريكيين حاولا بجبن أن يضعا بعض النقود في صندوق مزامير القربة خاصته.

صاح بهما: «لا! اذهبا! أنا أتدرب فقط».

راح يعيد نفخ قربته بتصميم، لكن حتى الصوت الصادر عن هذا الفعل لم يتمكن من تشويه مزاجهما.

وضع آرثر ذراعيه حولها وأزالهما ببطء، قال بعد لحظة: «لا أعتقد أنها مؤخرتك، لا يبدو أن هناك أي خطب بها على الإطلاق».

قالت موافقة: «نعم، بالتأكيد لا يوجد أي خطب بمؤخرتي».

قبّلا بعضهما بعضاً لمدة طويلة إلى درجة أنه في النهاية ذهب الرجل وتدرب في الجانب الآخر من الشجرة.

قال آرثر: «سأخبرك قصة».

- «جيد».

وجدا بقعة من العشب خالية نسبياً من أزواج مستلقين فوق بعضهم بعضاً، وجلسا وراقبا طيور البط الفاتنة وضوء الشمس منخفض المتموج على سطح الماء الجاري تحت طيور البط الفاتنة.

قالت فينتشيرتش وهي تضم ذراعه إليها: «قصة».

- «ستروي شيئاً من الأشياء التي تحدث لي. إنها حقيقية تماماً».

- «قصة حقيقية».

- «تعرفين كيف يخبرك الناس أحياناً قصصاً يفترض بها أن تكون قد حدثت لصديق ابن عم زوجاتهم المقرّب، لكنها تصبح في الأغلب مُختَلقة في نقطة ما من سياق الحديث. حسناً، إنها واحدة من تلك القصص، إلا أنها حدثت حقاً، وأعلم أنها حدثت حقاً لأن الشخص الذي حدثت معه حقاً كان أنا».

- «مثل بطاقة اليانصيب».

ضحك آرثر قائلاً: «نعم. كان علي أن ألحق بقطار. وصلت إلى المحطة»...

قاطعته فينتشيرتش قائلة: «هل سبق أن أخبرتك ماذا حصل مع والدي في المحطة؟»

قال آرثر: «نعم، فعلت».

- «أتأكد فحسب».

نظر آرثر إلى ساعته وقال: «أتصور أن علينا التفكير في العودة».

قالت فينتشيرتش بحزم: «أخبرني القصة، وصلت إلى المحطة».

-«وصلت أبكر بعشرين دقيقة تقريباً. فلقد أخطأت في توقيت القطار. أتصور أن من الممكن أيضاً على نحو متساوٍ،» وأضاف بعد أن تفكر للحظة: «أن تكون الشركة البريطانية للسكك الحديدة قد أخطأت في توقيت القطار. لم يخطر ذلك لي قبلاً».

ضحكت فينتشيرتش: «تابع القصة».

- «لذا اشتريت جريدة لأحل الكلمات المتقاطعة، وذهبت إلى البوفيه لأشتري كوباً من القهوة».

- «هل تحل الكلمات المتقاطعة؟»

- «نعم».

- «في أي جريدة؟»

- «الغارديان، في العادة».

- «أظنهم يحاولون أن يكونوا ظريفين زيادة عن الحد. أُفَضِّل جريدة التايمز. هل حللتها؟»

- «ماذا؟»

- «الكلمات المتقاطعة في جريدة الغارديان».

قال آرثر: «لم تسنح لي الفرصة أن أنظر إليها بعد، لا زلت أحاول شراء القهوة».

- «حسناً إذاً، اشتر القهوة».

قال آرثر: «اشتريتها. واشتريت أيضاً بعض البسكويت».

- «من أي نوع؟»

- «ريتش تي».

- «اختيار جيد».

- «أحبها. ذهبت لأجلس إلى طاولة وأنا محمّل بكل هذه المقتنيات الجديدة. ولا تسأليني كيف كان شكل الطاولة لأن ذلك كان منذ وقت مضى ولا أذكر. كانت مستديرة في الأغلب».

- «حسناً».

- «إذاً دعيني أوضح لك المشهد. أنا أجلس إلى الطاولة. الجريدة عن يساري. كوب القهوة عن يميني. ورزمة البسكويت في منتصف الطاولة».

- «واضح تماماً».

قال آرثر: «ما لم تريه، لأني لم أذكره بعد، هو الشخص الجالس إلى الطاولة بالأصل. إنه يجلس قبالتي».

- «كيف يبدو؟»

قال آرثر: «طبيعياً تماماً. محفظة، بدلة عمل. لم يبد أنه سيقوم بأي شيء غريب».

- «آه. أعرف هذا النوع. ما الذي فعله؟»

- «فعل التالي. انحنى عبر الطاولة، والتقط رزمة البسكويت، فتحها، أخرج واحدة، و»...

- «ماذا؟»

- «أكلها».

- «ماذا؟»

- «أكلها».

نظرت إليه فينتشيرتش بذهول. «وماذا فعلت بحق؟»

قال آرثر: «حسناً، في هذه الظروف، فعلت ما قد يفعله أي إنكليزي قوي. كنت مجبراً على تجاهل الأمر».

- «ماذا؟ لم؟»

- «حسناً، إنه ليس بالأمر الذي تدرب عليه المرء، أليس كذلك؟ بحثت في داخلي واكتشفت أنه لا يوجد شيء في أي مكان من تربيتي، خبرتي، أو حتى في غرائزي البدائية، يخبرني كيفية الرد على شخص قام ببساطة، بهدوء، وهو جالس أمامي مباشرة، بسرقة بسكويتة تخصّني».

فكرت فينتشيرتش في الأمر، وقالت: «حسناً، كان بإمكانك أن... أعترف أنني لست واثقة مما كنت سأفعله أيضاً. إذاً ماذا حدث؟»

قال آرثر: «حدقت غاضباً إلى الكلمات المتقاطعة، ولم أتمكن من حل أي شيء، ارتشفت رشفة قهوة، كانت أسخن من أن تُشرَب، لذا لم يكن هناك حل آخر، تمالكت نفسي، وأخذت قطعة بسكويت، محاولاً بجهد ألا ألاحظ أن العبوة كانت مفتوحة أساساً بطريقة غامضة»...

- «لكنك تقاوم، وبشراسة».

قال آرثر: «إلى حدّ ما، نعم. أكلت قطعة البسكويت. أكلتها متعمداً بشدة وبوضوح، حتى لا يكون لديه شك في ما أفعله. فحينما آكل قطعة البسكويت، تبقى مأكولة».

- «وماذا فعل هو؟»

قال آرثر بإصرار: «أخذ واحدة أخرى، ببساطة. هذا ما حدث تماماً. أخذ قطعة بسكويت أخرى، وأكلها. بوضوح تام، وعلى نحو مؤكد، كمثل جلوسنا على الأرض».

تحرّكت فينتشيرتش بضيق.

قال آرثر: «وكانت المشكلة أن عدم قول أي شيء في المرة الأولى، جعل مناقشة الموضوع، بطريقة أو بأخرى، أصعب في المرة الثانية. ما الذي ستقولينه؟ 'اعذرني، لم أستطع تجاهل، إيـ...' لا ينفع، لا. لذا تجاهلت الأمر بقوة أكبر من السابق».

- «يا للهول»...

- «حدقت إلى الكلمات المتقاطعة من جديد، من دون أن أتمكن من زحزحة حرف منها، لذا أظهرت بعضاً من العزم الذي أظهره هنري الخامس في يوم القديس غريبسين»...

- «ماذا؟»

قال آرثر: «مددت يدي في الرزمة من جديد، وأخذت قطعة بسكويت أخرى. وللحظة تلاقت عينانا».

- «بهذا الشكل؟»

قال آرثر: «نعم، حسناً، لا، ليس بهذا الشكل تماماً. لكنهما التقتا. لمجرد لمحة بصر. وأشحنا بنظرنا معاً. لكني أخبرك بأن الجو كان مشحوناً بعض الشيء. كان التوتر حول الطاولة يزداد، في ذاك الوقت».

- «أستطيع تخيّل ذلك».

- «أنهينا الرزمة كاملة بهذه الطريقة. هو، أنا، هو، أنا»...

- «كل الرزمة؟»

- «حسناً، لم تكن سوى ثماني قطع، لكنها بدت لنا في هذه المرحلة دهراً من قطع البسكويت. من المستبعد أن يمر المقاتلون بوقت أصعب من هذا».

قالت فينتشيرتش: «سيكون على المقاتلين أن يفعلوا ذلك تحت أشعة الشمس. وعلى نحو بدني أكثر إرهاقاً».

- «هذا ما حصل، لما أصبحت الرزمة فارغة أمامنا، نهض الرجل في النهاية، بعد أن فعل أسوأ ما يمكنه فعله، وغادر. وبالطبع، تنهدت بارتياح. وفي ذلك الوقت، أُعلِنَ أن قطاري سيأتي بعد دقيقة أو اثنتين، لذا أنهيت قهوتي، وقفت، أمسكت بالجريدة، وتحت الجريدة»...

- «نعم؟»

- «كانت رزمة البسكويت خاصتي».

قالت فينتشيرتش: «ماذا؟ ماذا؟»

- «هذه الحقيقة».

قالت لاهثة: «لا!» ورمت نفسها على العشب وهي تضحك.

جلست مجدداً

صاحت مستهزئة: «أنت أحمق تماماً، أنت أحمق على نحو شبه حرفي».

دفعته إلى الخلف، تدحرجت فوقه، قبلته، وتدحرجت عنه. فاجأته خفة وزنها.

- «أنت أخبريني قصة الآن».

قالت متصنعة صوتاً أجش: «ظننتك متحمساً جداً للعودة».

قال بمرح: «لا عجلة، أريدك أن تخبريني قصة».

نظرت فوق البحيرة وتأملت.

قالت: «حسناً، إنها قصة قصيرة، وليست مضحكة مثل قصتك، لكن... في كل حال».

نظرت إلى الأسفل، وشعر آرثر أن هذه واحدة من اللحظات الثقيلة. بدا الهواء ثابتاً حولهما، وينتظر. تمنى آرثر لو يذهب الهواء ويهتم بأموره الخاصة.

قالت: «لما كنت طفلة... دائماً ما يبدأ هذا النوع من القصص على هذه الشاكلة، أليس كذلك؟ "ما كنت طفلة..."في كل حال. هذا هو الجزء الذي تقول فيه الفتاة فجأة 'لما كنت طفلة' وتبدأ تفضي بهمومها. لقد وصلنا إلى ذلك الجزء. لما كنت طفلة كانت لدي صورة معلقة فوق سريري... ما رأيك بالقصة حتى الآن؟»

- «تعجبني، أظنها تتقدم على نحو جيد. لقد بدأت بالتشويق الخاص بغرف النوم باكراً وعلى نحو جميل. يمكننا أن نستفيض قليلاً بالصورة».

قالت: «كانت واحدة من تلك الصور التي ينبغي أن يحبها الأولاد، لكنني لم أفعل. ممتلئة بالحيوانات الصغيرة المحببة، تقوم بأشياء محببة، كما تعلم».

- «أعرف، كنت مصاباً بها أيضاً. أرانب ترتدي صدريات».

- «بالضبط. في الحقيقة كانت هذه الأرانب على طوف، بالإضافة إلى جرذان وبوم. ومن المحتمل أنه كان يوجد حيوان الرنة أيضاً».

- «على الطوف».

- «على الطوف. وصبي كان يجلس على الطوف».

- «بين الأرانب التي ترتدي صدريات والبوم وحيوان الرنة».

- «تحديداً هناك. صبي من النوع الغجري الصعلوك المرح».

- «يا للقرف».

«يجب أن أقول إن الصورة أقلقتني. كان هناك ثعلب ماء يسبح أمام الطوف، وكنتُ اعتدت الاستلقاء في الليل وأنا قلقة على ثعلب الماء هذا لأن عليه أن يسحب الطوف، وكل هذه الحيوانات البائسة عليه، التي لا ينبغي أصلاً أن تكون على طوف، وكان ذيل ثعلب الماء أرفع من أن يسحب الطوف، وفكرت في أن من المؤلم سحب الطوف طوال الوقت. ذلك أقلقني، ليس إلى حد بعيد، لكنه أقلقني على نحو ما، طوال الوقت».

- «عندئذ، في أحد الأيام، أذكر أنني كنت أنظر إلى هذه الصورة كل ليلة لسنوات، لاحظت فجأة أن الطوف له شراع. لم أره من قبل. كان ثعلب الماء بخير، وكان يسبح إلى جانب الطوف فحسب».

رفعت كتفيها وقالت: «هل هذه قصة جيدة؟»

قال آرثر: «نهايتها ضعيفة، تتسبب بالبكاء للجمهور، 'نعم، لكن ما المغزى منها؟' واضحة لكنها تحتاج إلى لمسة أخيرة قبل النهاية».

ضحكت فيتشيرتش وضمت ساقيها بيديها.

- «إنها نوع من الوحي المفاجئ، سنوات من القلق الخفي يضمحل فجأة، مثل إنزال حمولة ثقيلة، مثل تحول الأبيض والأسود إلى ألوان، مثل سقاية خشبة جافة على حين غرة. التحول المفاجئ في النظر الذي يقول: 'دع همومك جانباً، فالعالم مكان جيد ورائع. وهو في الحقيقة سهل المنال.' أغلب الظن أنك تعتقد أني أقول ذلك لأني سأقول إني شعرت بهذا الشيء نفسه هذه الظهيرة، أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟»

قال آرثر وقد تبعثر هدوءه على حين غرة: «حسناً، أنا»...

قالت: «حسناً، لا بأس، هذا ما حصل، هذا بالضبط ما شعرت به. إنما، كما ترى، شعرت بذلك من قبل، وبقوة أكبر. بقوة مذهلة. أخشى أنني صاحبة،» وحدقت إلى الأفق، ثم تابعت: «المفاجآت المروعة».

كان آرثر مرتبكاً، وكاد لا يتمكن من الكلام، لذلك شعر أن من الحكمة عدم المحاولة في الوقت الراهن.

قالت: «كان الأمر غريباً جداً،» بالطريقة نفسها التي قد يتكلم بها أحد المصريين الملاحِقِين عن سلوك البحر الأحمر، الغريب قليلاً، عندما لوّح عليه موسى بعصاه.

كررت قائلة: «غريب جداً، لأيام سبقت، كان أغرب شعور يزداد في داخلي، كأنني سألد. لا، لم يكن كذلك في الواقع، كان أشبه بكوني متصلة بشيء ما، جزيء بجزيء، لا، ليس كذلك حتى، بل كأن كل الأرض، من خلالي، كانت سوف»...

قال آرثر بلطف: «هل يعني الرقم اثنان وأربعون أي شيء لك على الإطلاق؟»

هتفت فيتشيرتش: «ماذا؟ لا، ما الذي تتحدث عنه؟»

همس آرثر: «مجرد فكرة».

- «آرثر، أنا جادة، هذا الأمر حقيقي لي، إنه خطير».

قال آرثر: «كنت جاداً تماماً، لكن الأمر أنّي لن أكون واثقاً من الكون».

- «ما الذي تقصده بذلك؟»

قال: «أخبريني ببقية القصة، لا تقلقي إن بدت غريبة. ثقي بي، فأنت تتحدثين إلى شخص رأى الكثير من الأمور،» وأضاف: «الغريبة، ولا أقصد البسكويت».

هزت رأسها موافقة، وبدت أنها تصدقه. فجأة أمسكت بذراعه.

قالت: «كان الأمر بسيطاً جداً عندما أتى، بسيطاً على نحو رائع واستثنائي».

قال آرثر بهدوء: «وما كان ذلك الأمر؟»

قالت: «كما تعلم يا آرثر، ذلك ما لم أعد أذكر. وهذا الفقد لا يحتمل. إن حاولت العودة بذاكرتي إليه يستحيل مضطرباً ومتقلباً، وإن حاولت بجهد، أصل إلى حد كوب الشاي ومن ثم يغمى علي».

- «ماذا؟»

قالت: «حسناً، كما حصل في قصتك، أفضل جزء حدث في مقهى. كنت جالسة هناك، أرشف كوباً من الشاي. كان ذلك بعد أيام من تنامي ذلك الشعور بأن أصبحت متصلة. أظن أني كنت أطنّ بهدوء. كانت هناك بعض الأعمال الدائرة في موقع بناء قبالة المقهى، وكنت أشاهدها من خلال النافذة، من فوق حافة كوب الشاي خاصتي، وهي الطريقة الأجمل في نظري لمشاهدة الناس الآخرين يعملون. وفجأة وجدتها في عقلي، هذه الرسالة، من مكان ما. كانت بسيطة جداً. أعطت معنى لكل شيء. وقفت ببساطة وفكرت 'أوه! أوه، حسناً، لا بأس بذلك إذاً.' لقد أجفلت إلى درجة أني كدت أوقع كوب الشاي خاصتي، في الواقع أظن أني أوقعته، نعم،» وأضافت بتأمل: «أنا متأكدة أني فعلت. كم هو منطقي كلامي؟»

- «كان جيداً إلى حد الجزء المتعلق بكوب الشاي».

هزت رأسها، ثم هزته مجدداً، كأنها تحاول تصفية ذهنها، وذلك ما كانت تحاول فعله.

قالت: «حسناً، هذه هي، جيدة إلى حد الجزء المتعلق بكوب الشاي. تلك هي النقطة التي بدا لي فيها حرفياً كأن العالم قد انفجر».

- «ماذا...؟»

- «أعرف أن الأمر يبدو جنونياً، والكل يقول إنها كانت هلوسات، لكن لو كانت كذلك فإن هلوساتي كانت تُعرَض على شاشة عملاقة ثلاثية الأبعاد وبصوت دولبي[1] مجسّم ذي ست عشرة قناة، ومن الأفضل لي أن أوظف نفسي للناس الذين ملّو أفلام سمك القرش. بدا الأمر كأن الأرض كانت تتمزق حرفياً من تحت قدمي، و... و»...

ربتت على العشب برفق كأنها تتأكد من وجوده، ثم بدت كأنها غيرت رأيها حول ما كانت ستقوله.

قالت: «واستيقظت في مستشفى. أعتقد أني أصبحت من رواده منذ ذلك الحين. لهذا السبب لدي عصبية غريزية من الوحي المفاجئ المربك بأن كل شيء سيكون على ما يرام». ونظرت إليه.

توقف آرثر ببساطة عن الاهتمام بالشذوذات المتعلقة بعودته إلى كوكبه الأم، أو بالأحرى أودعهم في ذلك الجزء من دماغه المعنون «أمور للتفكير فيها – ملحّ». قال لنفسه: «ها هو ذا الكوكب، ها هو ذا، بغض النظر عن السبب، وهو موجود. وأنا موجود عليه». لكنه الآن بدا غير مستقر من حوله، مثلما فعل تلك الليلة في السيارة عندما أخبره شقيق فينتشيرتش بتلك القصة السخيفة عن عميل وكالة الاستخبارات المركزية في الخزان. راحت السفارة الفرنسية تتراقص، ومعها برج فندق الشيراتون ومصرف أبو ظبي. كذا فعلت الأشجار والبحيرة، لكن ذلك بدا طبيعياً تماماً ولم يكن هناك داع للقلق لأن إوزة رمادية قد حطت للتو على سطحها. كانت طيور الإوز

---

(١) علامة تجارية لتقنيات الصوت السينمائي – المترجم.

تقضي وقتها مسترخية من دون أن تتمنى معرفة الأسئلة الأساسية للإجابات التي لديها.

قالت فينتشيرتش فجأة، بابتهاج وبابتسامة عريضة: «في أي حال، هناك خطب ما في جزء مني، وعليك معرفة ما يكون. سنذهب إلى المنزل».

هز آرثر رأسه.

قالت: «ما الأمر؟»

لم يهز آرثر رأسه للتعبير عن عدم موافقته على اقتراحها الذي عدّه اقتراحاً ممتازاً، بل أحد أفضل الاقتراحات في الوجود، بل لأنه كان يحاول للحظة أن يحرر نفسه من الشعور المتكرر بأن الكون قد يظهر فجأة من خلف باب على حين غرة ويخيفه في أقل لحظاته احتراساً.

قال: «أحاول أن أفهم هذه النقطة تماماً، قلتِ إنك شعرت كأن الأرض قد انفجرت... بالفعل»...

- «نعم، أكثر من مجرد شعور».

قال بتردد: «وذلك ما يقول عنه الآخرون إنه هلوسات؟»

- «نعم، لكن يا آرثر، ذلك سخف. يظن الناس أنهم إن قالوا "هلوسات" فسيفسرون أي شيء يريدون معنى له، وسيختفي في النهاية أي شيء لا يستطيعون فهمه. إنها مجرّد كلمة، لا تفسّر أي شيء. لا تفسر لم اختفت الدلافين».

قال آرثر بتمعن: «لا،» وأضاف بتمعن أكثر: «لا،» ثم قال في النهاية: «ماذا؟»

- «لا تفسر اختفاء الدلافين».

قال آرثر: «لا، فهمت ذلك. عن أي دلافين تتكلمين؟»

- «ماذا تقصد بأي دلافين؟ أتحدث عن اليوم الذي اختفت فيه كل الدلافين».

وضعت يدها على ركبته، ما جعله يشعر بأن الوخز الصاعد والهابط على عموده الفقري لم يكن تدليكها لظهره بلطف، بل لا بد أنه ذلك الشعور البغيض المروّع الذي ينتابه عادة عندما يحاول الناس تفسير الأمور له.

- «اختفت؟»

- «نعم».

- «الدلافين؟»

- «نعم».

- «كل الدلافين، اختفت؟»

- «نعم».

قال آرثر محاولاً فهم هذه النقطة على نحو واضح: «الدلافين؟ أتقولين إن الدلافين كلها قد اختفت؟ أهذا ما تقولينه؟»

- «أين كنت يا آرثر بحق السماء؟ اختفت كل الدلافين في اليوم نفسه الذي»...

حدقّت عينيه الجفلتين بتركيز.

- «ماذا...؟»

- «لا وجود للدلافين. ذهبت جميعها. اختفت».

أمعنت النظر في وجهه.

- «أحقاً لم يكن لديك علم بذلك؟»

كان واضحاً من الخوف في وجهه أنه لم يعلم.

سأل: «أين ذهبت؟»

«لا أحد يعلم، ذلك ما تعنيه كلمة اختفت». توقف للحظة ثم تابعت: «حسناً، هناك رجل يقول إنه يعرف ما حدث، لكنهم يقولون إنه يعيش في كاليفورنيا، وإنه مجنون. كنت أفكر في الذهاب لرؤيته لأن ذلك يبدو السبيل الوحيد لمعرفة ما الذي حصل لي».

هزّت كتفيها وأطالت النظر إليه بصمت. وضعت يدها على خده وقالت: «أود حقاً معرفة أين كنت، أظن أن شيئاً مروعاً قد حصل لك أيضاً. لذلك نفهم بعضنا».

نظرت في أرجاء المتنزه الذي راح يتجمّع في براثن الغسق.

قالت: «حسناً، لديك الآن شخص يمكنك إخباره».

أطلق آرثر زفرة طويلة ببطء وقال: «إنها قصة طويلة جداً».

أمالت فينتشيرتش نفسها فوقه وسحبت حقيبتها القماشية.

قالت: «هل للأمر علاقة بهذا؟» كان ما سحبته رثّاً وبالياً كأنه رُمي في أنهر ما قبل التاريخ، خُبزَ تحت الشمس التي تشعّ باحمرار فوق صحراء كاكرافون، دُفِن نصفه في الرمال الرخام على حافة محيطات سانتراجينوس ٥

ذات الأبخرة المسكرة، جُمِّدَ في أنهار قمر جاغلان بيتا المتجمدة، جُلِسَ عليه، رُكِلَ في سفن الفضاء، بُلِيَ وأسيء استخدامه، وبما أن صناعه عرفوا بأن هذه الأشياء هي تماماً ما سيحدث له، فلقد علّبوه بروية ضمن غلاف بلاستيكي قوي كُتِبَت عليه، بأحرف ودود وكبيرة، كلمتا 'لا تخف.'

قال آرثر بذعر: «من أين حصلت عليه؟» وأخذه منها.

قالت: «آه، اعتقدت أنه لك. من سيارة راسل تلك الليلة. لقد سقط منك. هل زرت العديد من هذه الأماكن؟»

أخرج آرثر دليل المسافر إلى المجرة من غلافه. كان أشبه بحاسوب محمول صغير ورقيق. نقر بعض الأزرار حتى أضاءت الشاشة ببعض النصوص.

قال: «بعضها».

- «أيمكننا الذهاب؟»

قال آرثر على نحو مفاجئ: «ماذا؟ لا،» ومن ثم لان، لكنه لان بحذر.

قال متمنياً أن تكون الإجابة بالنفي: «هل تريدين ذلك؟» كان ضرباً كبيراً من الكرم عدم قوله: «لا تريدين ذلك، أليس كذلك؟» الذي يعني توقعه للنفي.

قالت: «نعم، أريد أن أعرف ماهية الرسالة التي أضعتها، ومن أين أتت. لأنني لا أظن،» أضافت بعد أن وقفت ونظرت حولها في ظلمة المتنزه المتزايدة: «أنها أتت من هنا».

ثم أضافت بعد أن لفت ذراعها حول خصره: «لست متأكدة حتى من معرفتي بهذا المكان».

# الفصل الحادي والعشرون

كما جرت العادة على الإشارة مسبقاً، وبدقة، فإن دليل المسافر إلى المجرة شيء مربك إلى حد ما، فهو في الأساس، كما ينطوي عليه العنوان، دليل. المشكلة، أو بالأحرى إحدى المشكلات، إذ إن هناك العديد منها، الكثيرة التي تعوق باستمرار المحاكم المدنية، الاقتصادية، والجنائية في كل مناطق المجرة، ولا سيما حيث من الممكن أن تكون هذه المحاكم فاسدة، هي التالية:

العبارة السابقة منطقية، هذه ليست المشكلة.

المشكلة هي:

التغيير.

اقرأها مجدداً وستفهمها.

إن المجرة مكان سريع التغير. وللصراحة، هناك الكثير منها، حيث إن كل جزء يتحرك باستمرار، ويتغير باستمرار. قد تظن أن ذلك أمر مرعب لمحرر مدقق حي الضمير، يناضل باجتهاد ليحافظ على هذا الكتاب جنباً إلى جنب مع كل الظروف المتغيرة التي تتسبب بها المجرة في كل دقيقة من كل ساعة من كل يوم، وستكون على خطأ. خطؤك سيكون فشلك في إدراك أن المحرر، كمثل جميع المحررين الذي مرّوا على الدليل، ليس لديه أي إدراك

لمعنى كلمات مثل «مدقق،» «حي الضمير،» و«اجتهاد،» ويميل إلى تناول كوابيسه عن طريق مصاصة.

عادة ما يتم تحديث المداخل عبر شبكة السب-إيثا، بالاعتماد على جودتها للقراءة.

خذ في سبيل حالة بريكيندا في 'فوث أوف أڤالارز'، مشهورة في الخرافات، الأساطير، والمسلسلات القصيرة السخيفة ثلاثية الأبعاد، بكونها موطن تنين فولورنيس الناري العظيم والرائع.

في الأيام الخوالي، قبل حلول سورث البراغادوكسي، لما غنى الفراجيليون وكان لساكساكين الكينيلكسية عظيم الأثر، لما كان الهواء عليلاً والليالي عطرة، لكنهم تمكنوا بطريقة أو بأخرى أن يكونوا بتولين، أو هكذا ادعوا، على الرغم من غرابة اعتقادهم بأن أحداً قد يصدق ادعاءً كهذا منافياً للعقل، بسبب كل الهواء العليل والليالي العطرة وكل ما قد يخطر في بال أحد، لم يكن ممكناً رمي قرميدة في بريكيندا في فوث أوف أڤالارز من دون أن تصدم نصف دستة من تنانين فولورنيس النارية في الأقل.

وإن كنت تريد أن تفعل ذلك، فتلك قضية أخرى.

ليس الأمر أن التنانين النارية لم تكن في الأساس مخلوقات محبة للسلام، لأنها كانت كذلك. لقد أحبته كثيراً، وهذه المحبة الشاملة للأشياء كانت بحد ذاتها المشكلة، فالشخص غالباً ما يؤذي الناس الذين يحبهم، ولا سيما إذا كان هذا الشخص تنين فولورنيس الناري، بنَفَسٍ كلهيب محركات الصواريخ وأسنان كسياج المتنزهات. تمثلت مشكلة أخرى في أنه متى كان

مزاجها مناسباً فإنها ستؤذي الكثيرين ممن يحبهم الآخرون أيضاً، يضاف إلى ذلك العدد القليل نسبياً من المجانين الذين خرجوا وهم يرمون القرميد، فتكون النتيجة أن الكثير من الناس على سطح بريكيندا في مجموعة فوث أوف أثالارز قد تأذوا على نحو كبير من التنانين.

إنما، هل انزعجوا من الأمر؟ لم ينزعجوا.

هل سمعهم أحد يرثون أقدارهم؟ لا.

كانت تنانين فولورنيس مبجلة في كل أراضي الكوكب لجمالها الهمجي، وعاداتها النبيلة، وإدمانها عض الناس الذين لم يبجلوها.

لم كان ذلك؟

الجواب بسيط.

الجنس.

لسبب غامض، هناك شيء مثير جداً فيما يخص وجود تنانين عملاقة فاتنة نافثة للهلب تطير على ارتفاع منخفض في سماء الليالي المقمرة، التي كانت في الوقت نفسه جميلة وعطرة.

ولا يستطيع سكان بيريكندا المخمورون بالرومانسية إخبارك بالسبب وراء ذلك، ولن يتوقفوا عن مناقشة المسألة متى وقعوا تحت تأثيرها، لأنه في اللحظة نفسها ستحلّق نصف دستة من تنانين فولورنيس النارية، بأجنحتها الحريرية وأجسامها الجلدية، عبر سماء الليل، حيث سيركض نصف سكان بريكيندا ليختبئوا في الغابات مع النصف الآخر، وهناك يمضون معاً ليلة نشطة تخطف الأنفاس، ويخرجون مع أشعة الفجر الأولى مبتسمين سعداء

مدعين، بمزيد من الشغف، أنهم بتولون، حتى لو كانوا بتولين متوردين ولزجين.

قال بعض الباحثين: السبب هو مادة الفيرومون.

ادّعى آخرون: السبب صوتيّ.

كان المكان مزدحماً دائماً بالباحثين الذين يحاولون سبر أغوار المسألة بأسرها، ويمضون وقتاً طويلاً جداً في ذلك.

لا غرابة أن الوصف الصوري الجذاب الذي يقدمه الدليل للعلاقات العامة على سطح الكوكب، أثبت أنه شائع على نحو مذهل في أوساط المسافرين الذي يسمحون له بأن يقودهم، لذا ببساطة لم يتم حذفه إطلاقاً، وبذلك تُرِك للمسافرين اللاحقين أن يكتشفوا بأنفسهم أن بريكيندا الحالية في دولة أڤالارز ليست أكثر من إسمنت، نواد للتعري، وحانات شطائر لحم التنين.

# الفصل الثاني والعشرون

كان الليل في إزلينغتون حلواً وعطراً.

لم تكن هنالك بالطبع تنانين فولورنيس النارية في الأزقة، لكن إن تصادف لها أن توجد، فإنها ستتدرج عبر الطريق لتناول البيتزا، لأن أحداً لن يحتاج إليها.

ولو طرأ طارئ وهي تتناول البيتزا بأسماك الأنشوجة، فبإمكانها إرسال رسالة لتشغيل أغاني فرقة داير ستريت، المعروفة بأن لها التأثير نفسه.

قالت فينتشيرتش: «لا، ليس بعد».

وضع آرثر أغاني لفرقة داير ستريت. دفعت فينتشيرتش باب الطابق العلوي لتسمح بدخول المزيد من نسيم الليل العطر العليل.

جلسا على بعض من الأثاث المصنوع من الوسائد، بالقرب من زجاجة الشمبانيا المفتوحة.

قالت فينتشيرتش: «لا، ليس قبل أن تكتشف ما خطبي، في أي جزء. لكن أفترض،» وأضافت بالكثير الكثير من الهدوء: «أن علينا أن نبدأ بالمكان الموجودة فيه يدك الآن».

قال آرثر: «إذاً كيف أتجه؟»

قالت فينتشيرتش: «إلى الأسفل، في هذه الحالة».

حرّك يده.

قالت: «في الواقع، إن الأسفل في الاتجاه الآخر».

«آه، نعم».

كان لمارك نوفلر[1] القدرة الاستثنائية على جعل غيتار ستراتوكاستر[2] يصيح ويغني كالملائكة ليلة السبت، فهو منهك من كونه طيباً طوال الأسبوع، وفي حاجة إلى شراب قوي، وإن ذلك ليس مناسباً تماماً في هذه المرحلة، فالأغنية لم تصل بعد إلى ذلك الجزء، لكن سيكون هناك الكثير من الأمور التي تحدث عندما تصل، بالإضافة إلى أن المؤرخ لا ينوي الجلوس هنا وبيده لائحة الأغاني ومؤقت زمني، لذا بدا من الأفضل ذكر ذلك الآن في حين لا تزال الأمور تسير ببطء.

قال آرثر: «وهكذا نصل إلى ركبتك. هناك خطب فظيع ومأساوي بركبتك اليسرى».

قالت فينتشيرتش: «ركبتي اليسرى ممتازة تماماً».

- «هي كذلك إذاً».

- «هل عرفت أن»...

- «ماذا؟»

---

(١) قائد فرقة داير ستريت الموسيقية – المترجم.

(٢) نوع الغيتار الذي كان يستخدمه في العزف – المترجم.

- «آه، لا بأس، أعرف أنك تعرف. لا، تابع».

- «إذاً لا بد أن الأمر يتعلق بقدميك»...

ابتسمت في الضوء الباهت، ولوّت كتفيها بشكل غير محدد على الوسائد. بما أن هناك وسائد في الكون، بالتحديد على كوكب سكورنشيلوس بيتا، في مستنقعات الفرش، حيث تستمتع تلك الوسائد فعلياً بأن يُتَلوّى عليها، بالتحديد إن كان التلوّي غير محدد بسب الطريقة الرخيمة التي تتحرك بها الأكتاف، من المؤسف أن تلك الوسائد لم تكن موجودة في تلك اللحظة. لم تكن موجودة، لكن هذه هي الحياة.

أمسك آرثر بقدمها اليسرى في حضنه ونظر إليها بتمعن. ما تسبب به ابتعاد ثوبها عن ساقيها صعّب عليه التفكير بوضوح في هذه اللحظة.

قال: «عليّ أن أقر بأني لا أعرف حقاً ما الذي أبحث عنه».

قالت: «ستعرف عندما تجده، ستعرف حقاً». كانت هناك لمسة من الخداع في صوتها. تابعت: «ليست تلك القدم».

بازدياد ارتباكه، ترك آرثر قدمها اليسرى على الأرض وحرّك نفسه ليتمكن من الإمساك بقدمها اليمنى. تحركت إلى الأمام، ضمته بذراعيها وقبلته، لأن الأغنية وصلت إلى ذلك الجزء الذي، لو كنت تعرف الأغنية، لعلمت أنه من المستحيل عدم القيام بذلك.

بعد ذلك أعطته قدمها اليمنى.

مسّدها، حرّك أصابعه حول العقب، تحت الأصابع، وعلى طول مشط القدم، ولم يستطع إيجاد أي خلل فيها.

راقبته ببهجة كبيرة، ضحكت وهزت رأسها.

قالت: «لا، لا تتوقف، لكنها ليست هذه القدم الآن».

توقف آرثر، وعبس بقدمها اليسرى على الأرض.

- «لا تتوقف».

مسّد قدمها اليمنى، حرّك أصابعه حول العقب، تحت الأصابع، وعلى طول مشط القدم وقال: «هل تقصدين أن الأمر متعلق بأي ساق أمسك...؟»

هزت كتفها هزة يمكنها أن تجلب السعادة لحياة وسادة بسيطة من كوكب سكورنشيلوس بيتا.

عبس آرثر.

قالت بهدوء: «ارفعني».

ترك قدمها اليمنى على الأرض ووقف. وقفت هي. رفعها بين ذراعيه وقبلا بعضهما مجدداً. استمرا بذلك للحظة ثم قالت: «أنزلني الآن من جديد».

فعل ذلك وهو لا يزال مرتبكاً.

«حسناً؟»

- نظرت إليه بتحدٍ تقريباً.

قالت: «إذاً، ما خطب قدميّ؟»

لم يفهم آرثر بعد. جلس على الأرض، ثم هبط على يديه وركبتيه لينظر إلى قدميها، في الوضع المناسب، كما هو معروف في موطنهما الطبيعي. وبينما

هو ينظر بتمعن، أحس بشعور غريب. وضع رأسه على الأرض تماماً وحدق. كان هنالك فاصل زمني طويل. ارتدّ إلى الخلف ببطء.

قال: «نعم، أعرف ما خطب قدميك. إنهما لا تلامسان الأرض».

- «إذاً... ما رأيك؟»...

نظر آرثر إليها بسرعة ورأى الفهم العميق يجعل من عينيها داكنتين فجأة. عضت شفتها وراحت ترتعش.

تلعثمت قائلة: «ما الذي... هل أنت...؟» هزت شعرها إلى الأمام فوق عينيها اللتين كانتا تمتلئان دمعاً مخيفاً قاتماً.

نهض بسرعة، ضمها بذراعيه وقبلها قبلة واحدة.

قال: «ربما يمكنك فعل ما يمكنني فعله،» وخرج من باب طابقها العلوي.

وصلت الأغنية إلى الجزء الجيد.

# الفصل الثالث والعشرون

استعرت المعركة حول نجم شاشيز. دُمرت مئات من سفن زيرزلا القوية والمدججة بالسلاح واستحالت ذرات بسبب القوى الصاعقة التي تمكنت السفينة الشاشيزية الفضية العملاقة من نشرها.

اختفى أيضاً جزء من القمر، دمرته مدافع القوة التي مزّقت نسيج الفضاء في أثناء عبورها خلاله.

أضحت سفن زيرزلا الباقية، على الرغم من كونها مدججة بالسلاح، مُتَفَوقٌ عليها على نحو ميئوس منه بسبب القوة المدمرة للسفينة الشاشيزية، وراحت تتقهقر بحثاً عن ملاذ آمن خلف القمر الذي كان يتحطم بسرعة، عندما، وعلى حين غرة، أعلنت السفينة الشاشيزية التي كانت تطاردها بعنف أنها تحتاج إلى عطلة، وتركت ميدان المعركة.

للحظة كان الذعر والرعب مضاعفاً، لكن السفينة اختفت.

طارت السفينة، وبحوزتها قوى هائلة، بسرعة، من دون عناء، وفوق كل ذلك، بصمت عبر مساحات شاسعة من الفضاء المشوّه.

عميقاً، في منامته الزلقة، ذات الرائحة النتنة، التي أخذت حيزاً من ممر الصيانة، نام فورد بريفيكت بين مناشفه، حالماً بأماكن قديمة.

في مرحلة من سباته حلم بنيويورك. كان يمشي في وقت متأخر من الليل على طول الجانب الشرقي، إلى جانب النهر الذي أصبح ملوثاً إلى الحد الذي جعل أشكالاً جديدة من الحياة تخرج منه تلقائياً، وتطالب بالرفاه وحقوق التصويت.

مر واحد من هذه المخلوقات عائماً وهو يلوح لفورد. لوح له فورد.

شق ذلك الشيء طريقه نحو الشاطئ وصعد لاهثاً إلى الضفة.

قال: «مرحباً. لقد خُلِقت للتو. أنا جديد كلياً في الكون بالمقاييس كافة. هل هناك أي شيء يمكنك إخباري به؟»

قال فورد بارتباك قليل: «عجباً، أستطيع إخبارك أين تقع بعض الحانات كما أعتقد».

قال المخلوق، وهو يحرك مجساته: «ماذا عن الحب والسعادة؟ أستشعر حاجة عميقة إلى أمور كهذه، هل لديك أي فكرة عن الموضوع؟»

قال فورد: «يمكنك الحصول على بعض من ذلك في الجادة السابعة».

قال المخلوق بإلحاح: «أشعر غريزياً أن علي أن أكون جميلاً، أليس كذلك؟»

- «أنت صريح قليلاً، ألست كذلك؟»

- «لا معنى للتصرف بسخف، أليس كذلك؟»

كان المخلوق يرشح ماءً في كل المكان، ويصدر أصواتاً من ذلك الماء وينتحب. أثار الأمر اهتمام سكير مجاور.

قال فورد: «بالنظر إليّ، لا. لكن اسمع،» ثم أضاف بعد لحظة: «معظم الناس يتقدمون كما تعلم. هل هناك أحد يشبهك في الأسفل؟»

قال المخلوق: «فتشني أيها الضخم، كما قلت، أنا جديد هنا. الحياة غريبة تماماً عنّي. كيف هي؟»

شعر فورد أن هذا شيء يستطيع الحديث عنه بثقة.

قال: «الحياة، مثل العنب».

- «إيه، كيف ذلك؟»

- «حسناً، إنها صفراء برتقالية وفيها نقر من الخارج، رطبة وطرية من الداخل. وفيها بذور من الداخل أيضاً. وبعض الناس يتناولون نصف حبة على الإفطار».

- «هل هناك أحد آخر يمكنني التحدث إليه؟»

قال فورد: «أظن ذلك، سل الشرطي».

عميقاً في منامته، تلوّى فورد بريفيكت ودار إلى الجهة الأخرى. لم يكن نوعه المفضل من المنامات لأنه لم يحتو على إكسينتريكا غالومبيتس (عاهرة إيروتيكون ٦، ثلاثية الأثداء)، التي ظهرت في العديد من مناماته. إلا أنه في الأقل كان مناماً. في الأقل كان نائماً.

# الفصل الرابع والعشرون

لحسن الحظ كان هناك تيار هوائي صاعد قوي في الزقاق، فآرثر لم يفعل شيئاً كهذا منذ مدة، في الأقل لم يفعله متعمداً، حيث إن تعمد الأمر هو بالتحديد ما لا ينبغي لك فعله.

تأرجح إلى الأسفل بعنف، كاد يتسبب لنفسه بصدع بغيض في الفك عند عتبة الباب، وتشقلب عبر الهواء، وذُهِل فجأة من عظيم غباء الشيء الذي فعله للتو بحيث إنه نسي الجزء المتعلق بالارتطام بالأرض ولم يرتطم.

فكّر آرثر أنها حيلة لطيفة إن تمكنت من تنفيذها.

كانت الأرض معلقة بشكل خطر فوق رأسه.

حاول ألا يفكر في الأرض، كم هي كبيرة استثنائياً، وكم سيؤلمه لو أنها قررت فجأة ألا تبقى معلقة وسقطت عليه. حاول عوضاً عن ذلك أن يفكر في أشياء لطيفة عن حيوانات الليمور، وكان فعل ذلك عين الصواب لأنه لم يتمكن في تلك اللحظة من تذكر ما هو الليمور على وجه التحديد، هل هو واحد من تلك الأشياء التي تنطلق بقطعان ضخمة مهيبة عبر أياً تكن من الأراضي، أو أنه من حيوانات النو، لذا كان أمراً صعباً أن تفكر في أشياء لطيفة عنه من دون اللجوء إلى نوع من التآلف البغيض مع الأشياء، فأبقاه كل ما سبق مشغولاً جداً في حين كان جسده يحاول أن يتكيف مع حقيقة أنه لا يلامس شيئاً.

رفرف غلاف حلوى «مارس» على طول الزقاق.

بعد لحظة من الشك والحيرة، سمح الغلاف للرياح بأن تهدئه وراح يرفرف بين آرثر والأرض.

- «آرثر»...

كانت الأرض لا تزال معلقة بشكل خطر فوق رأسه، وفكّر في أنه قد يكون الوقت المناسب لفعل شيء حيال الأمر، كالسقوط بعيداً عنها، وهو ما فعله، ببطء شديد.

وبينما هو يسقط ببطء شديد أغمض عينيه، بحذر، كي لا يفسد أي شيء.

انتشر شعور إغماض عينيه في جسده كله. بمجرد وصول هذا الشعور إلى قدميه انتبه جسمه إلى حقيقة أن عينيه مغمضتان الآن، ولم يخف من الأمر، وببطء شديد أدار جسمه في اتجاه، وعقله في الاتجاه الآخر.

ينبغي لأجل ذلك حل مشكلة الأرض.

تمكن الآن من الشعور بصفاء الهواء من حوله، وهو ينسّم بمرح، من دون أن يضطرب من وجوده هناك، وببطء شديد، كأنه يستيقظ من نوم عميق، فتح عينيه.

بالطبع، لقد طار سابقاً، طار مرات عدة على كوكب كريكيت حتى كاد حديث الطيور يفقده عقله، لكن هذه المرة كانت مختلفة.

ها هو ذا على كوكبه، بهدوء، ومن دون جلبة، بعيداً عن أدنى اهتزاز يمكن نسبه إلى عدد من الأشياء، موجود في الهواء.

كان الإسفلت الصلب تحته على مسافة عشر أو خمس عشرة قدماً، وإلى اليمين على بعد ياردات عدة كانت أضواء الشارع العلوي الصفراء.

لحسن الحظ كان الزقاق مظلماً حيث إن الضوء الذي يفترض به أن ينيرها في الليل كان في حالة تحول وقت بارعة، بمعنى أنه يضيء قبل وقت الغداء بقليل ويطفئ مع بداية المساء. لذا كان محاطاً بشكل آمن بدثار من الظلمة.

رفع رأسه ببطء شديد إلى فينتشيرتش التي كانت تقف بذهول وصمت مطبق، في ظل مدخل طابقها العلوي.

كان وجهها على بعد إنشات عدة من وجهه.

قالت بصوت خفيض مرتعش: «كنت أوشك أن أسألك ما الذي تفعله. إنما، عند ذلك أدركت أنني أرى ما الذي تفعله. كنت تطير، فعلى ما يبدو» وتابعت بعد لحظة تحيّر: «أنه كان سؤالاً سخيفاً. ولم أتمكن حالاً من التفكير في أي أسئلة أخرى».

قال آرثر: «هل تستطيعين فعلها؟»

- «لا».

- «هل تحبين أن تجربي؟»

عضّت شفتها وهزت رأسها، ليس لتقول لا، لكن بارتباك محض. كانت تهتز مثل ورقة شجر.

حثها آرثر قائلاً: «إنها سهلة جداً، إن لم تعرفي كيف. ذلك هو الجزء المهم. كوني غير واثقة على الإطلاق كيف تقومين بالأمر».

وليريها كم الأمر سهل، طاف بعيداً على طول الزقاق، صعد إلى الأعلى على نحو مثير، وتمايل عائداً باتجاهها كورقة نقدية على نسمة من الريح.

- «سليني كيف فعلت ذلك؟»

- «كيف... فعلت ذلك؟»

- «لا فكرة لدي».

هزّت كتفيها بذهول وقالت: «إذاً كيف لي أن...؟»

تمايل آرثر منخفضاً أكثر ومد يده قائلاً: «أريدك أن تحاولي أن تخطي على يدي، برجل واحدة فقط».

- «ماذا؟»

- «جربي».

بتوتر وتردد، فكرت، كأنها تحاول أن تخطو على يد شخص يطوف أمامها في الهواء، وخطت على يده.

- «الآن القدم الأخرى».

- «ماذا؟»

- «ارفعي الثقل عن رجلك الخلفية».

- «لا أستطيع».

- «جربي».

- «هكذا؟»

- «هكذا».

بتوتر وتردد، فكرت، كأن... توقفت عن التفكير في ما كانت تفعله لأنها شعرت بأنها لا تريد معرفة ذلك إطلاقاً.

ثبتت عينيها وطيداً جداً على مزراب سقف المستودع المقابل المتداعي، الذي كان يزعجها لأسابيع لأنه كان سيسقط بلا شك، وتساءلت إن كان أحدهم سيفعل شيئاً إزاء الأمر، أو إن كان عليها قول شيء لأحدهم، ولم تفكر للحظة في حقيقة أنها تقف على يدي شخص لم يكن يقف على أي شيء إطلاقاً.

قال آرثر: «ارفعي ثقلك الآن عن قدمك اليسرى».

فكرت في أن المستودع يعود لشركة السجاد التي توجد مكاتبها عند الزاوية، ورفعت ثقلها عن قدمها اليسرى، لذا قد يتعين عليها أن تذهب إليهم من أجل المزراب.

قال آرثر: «ارفعي الثقل الآن عن قدمك اليمنى».

- «لا أستطيع».

- «جرّبي».

لم يسبق لها أن شاهدت المزراب من هذه الزاوية، وبدت لها الآن احتمالية وجود عش لطائر بالإضافة إلى كل الأوحال والأوساخ في الأعلى. لو انحنت إلى الأمام قليلاً ورفعت ثقلها عن قدمها اليمنى فقد تتمكن من رؤيته بوضوح.

انزعج آرثر من رؤية أحدهم في الزقاق يحاول سرقة دراجتها الهوائية. فهو لم يرد بالتحديد أن يدخل في أي سجال في هذه اللحظة وتمنى أن يفعل الشاب ذلك بهدوء ومن دون أن ينظر إلى لأعلى.

كانت له هيئة الداهية الهادئ الذي اعتاد سرقة الدراجات الهوائية في الأزقة، واعتاد توقع ألا يجد أصحابها يحومون على ارتفاع أقدام عدة فوقه. لقد كان مرتاحاً بسبب هاتين العادتين، وتابع عمله بتصميم وتركيز، ولما اكتشف أن الدراجة كانت بلا شك مربوطة بقضيب حديدي مطمور بالإسمنت بوساطة كربيد التنغستن[1]، لوى عجلتيها بسلام وذهب في طريقه.

أطلق آرثر نفساً كان قد أمسكه لفترة.

قالت فينتشيرتش في أذنه: «انظر إلى قشرة البيض التي وجدتها».

(١) خليط شديد القساوة، مصنوع من مزج التنغستن مع الكربون – المترجم.

# الفصل الخامس والعشرون

قد يتلقى المتابعون المنتظمون لأفعال آرثر دينت الشعور بأن شخصيته وعاداته، التي على الرغم من أنها تتضمن الحقيقة، وبالطبع، لا شيء غير الحقيقة، غير كافية، بحد ذاتها، للحقيقة الكاملة بجوانبها الرائعة كافة.

والأسباب خلف ذلك واضحة: التحرير والانتقاء والحاجة إلى موازنة ما هو مثير للاهتمام مع ما هو مناسب وترك المصادفات المملة.

كهذه، في سبيل المثال: «ذهب آرثر دينت إلى الفراش. صعد درجات السلم، الخمس عشرة كافة، فتح الباب، دخل إلى غرفته، خلع حذاءه وجواربه، ومن ثم ما تبقى من ملابسه قطعة قطعة، وتركها ضمن كومة مجعدة بشكل مرتب على الأرض. لبس منامته، الزرقاء المخططة. غسل وجهه ويديه، فرك أسنانه، دخل الحمام، أدرك من جديد أنه أخطأ في ترتيب تسلسل الأعمال، توجب عليه غسل يديه من جديد، وذهب إلى الفراش. قرأ لمدة خمس عشرة دقيقة، أمضى أول عشر دقائق في محاولة معرفة أين وصل في الكتاب في الليلة السابقة، من ثم أطفأ الضوء ونام في غضون دقيقة.

كانت الغرفة مظلمة، استلقى على جانبه الأيسر لساعة كاملة.

بعد ذلك، تحرك بضجر في أثناء نومه للحظة، ثم استدار لينام على جانبه الأيمن. بعد ساعة من ذلك رفرف جفنيه قليلاً وحكّ أنفه برفق، على

الرغم من بقاء عشرين دقيقة كاملة قبل أن يستدير إلى جانبه الأيسر من جديد. وهكذا أمضى الوقت تلك الليلة وهو نائم.

نهض في الرابعة وذهب إلى الحمام من جديد. فتح باب الحمام»... وهلمّ جرا.

إنه هراء. لا يسهم في تطور الأحداث. إنه مناسب للكتب الضخمة كالتي تزدهر بها السوق الأمريكية، لكنها لا تفيدك في شيء. باختصار، ذلك لا يهمك.

إنما، هناك أيضاً إهمالات أخرى، بالإضافة إلى تشكيلة (فرك الأسنان ومحاولة إيجاد جوارب نظيفة،) وعادة ما يبدو الناس مهتمون ببعض هذه الإهمالات أكثر من المعتاد.

فهم يريدون أن يعرفوا، ماذا عن كل الأحداث الجاهزة للحصول بين آرثر وتريليان، هل ستصل إلى مكان ما؟

بالطبع فإن الإجابة عن تساؤلات كهذه هي، لا تتدخلوا في ما لا يعنيكم.

ويقولون، ما الذي كان يفعله كل تلك الليالي على كوكب كريكيت؟ لا يعني أن كل الكوكب كان يجلس للقراءة كل ليلة لمجرد أنه ليس فيه تنانين فولورنيس النارية أو فرقة داير ستريت.

ولأخذ مثال أكثر دقة، ماذا عن تلك الليلة بعد حفل اجتماع اللجنة على أرض ما قبل التاريخ عندما وجد آرثر نفسه جالساً على منحدر التل يراقب شروق القمر فوق الأشجار التي تحترق بهدوء بصحبة فتاة جميلة تدعى ميلا، نجت مؤخراً من عمر من التحديق الصباحي إلى مئات الصور

شبه المتطابقة لأنابيب معجون أسنان مضاءة بكآبة في قسم الفنون التابع لوكالة إعلان على كوكب غولغافرينشام؟ ماذا بعد؟ ما الذي حصل؟ والإجابة بالطبع هي أن الكتاب انتهى.

الكتاب التالي لم يتابع بالقصة إلا بعد خمس سنوات، ويدعي بعضهم أنه بإمكانك أن تكون متحفظاً إلى أبعد حد. تأتي صرخة من أقصى حدود المجرة، وقد وجد ما تقوله هذه الصرخة منقوشاً على مسبار غريب في عمق الفضاء يعتقد أن منشأه مجرة غريبة أخرى تبعد مسافة أشنع من أن تُحسب، فتقول: «ما يكون آرثر دينت هذا؟ هل هو إنسان أو فأر؟ أليس مهتماً بشيء أكثر من الشاي وقضايا الحياة الشاملة؟ أليس له روح؟ أليس له شغف؟ ولاختصار الكلام، ألا يضاجع؟»

أولئك الذين يودون معرفة ذلك عليهم متابعة القراءة، أما الآخرون فقد يجتازون ما كتب حتى الفصل الأخير، الذي هو جزء جيد، وفيه مارڤن.

# الفصل السادس والعشرون

بينما هما يرتفعان، تمنى آرثر دينت بشدة، ولوهلة غير ذات قيمة، أن يمضي أصدقاؤه، الذين عدّوه في السابق لطيفاً لكن مملاً، ومؤخراً غريباً لكن مملاً، وقتاً طيباً في الحانة، لكن تلك كانت آخر مرة، لبعض الوقت، يفكر بها فيهم.

ارتفعا إلى الأعلى، وهما يطيران بشكل لولبي حول بعضهما بعضاً ببطء، مثل بذور الجميّز الساقطة من شجر الجميّز في الخريف، باستثناء أنهما يتجهان في الاتجاه المعاكس.

ومع ارتفاعهما، صدح عقلاهما بمعرفة مبهجة، فإما أنهما كانا يفعلان شيئاً مستحيلاً تماماً وكلياً، وإما أن هناك الكثير من الأمور التي على الفيزياء عملها.

هزّت الفيزياء رأسها وهي تنظر في الجهة المقابلة، مركّزة للحفاظ على حركة السيارات فوق طريق يوستن باتجاه جسر ويستوي، وللحفاظ على أضواء الشارع مضاءة، وللتأكد من تشظي شطيرة اللحم بالجبنة على الأرض عندما يرميها أحدهم في شارع بيكر.

تضاءلت شوارع لندن المزدانة بالأضواء تحتهما باضطراد، كان على آرثر أن يذكّر نفسه بأنها لندن، ليست حقول كريكيت غريبة الألوان على الحواف البعيدة للمجرة، ولا نمشاً مضيئاً ملأ على نحو باهت السماء المفتوحة فوقهما، بل لندن، تمايلت ودارت.

صاح آرثر لفينتشيرتش: «حاولي الانقضاض».

- «ماذا؟»

بدا صوتها واضحاً غريباً، لكن بعيداً في هذا الهواء الخالي والواسع. كان مصحوباً بصوت أنفاسها وأضعفته غرابة الموقف، كل الأشياء كانت واضحة، ضعيفة، بعيدة ومصحوبة بصوت الأنفاس، كلها في الوقت نفسه.

قالت: «إننا نطير»...

صاح آرثر: «إنه أمر تافه، لا تفكري فيه، حاولي الانقضاض».

- «الانقضـ»...

أمسكت يدها بيده، وبلحظة مفاجئة أمسك وزنها بيده أيضاً، وعلى نحو مذهل، اختفت وراحت تتشقلب تحته، محاولةً بعنف التشبث باللاشيء.

حدقت الفيزياء إلى آرثر الذي انكمش من الذعر واختفى أيضاً، أصابه الشحوب من السقوط الحر، وكان كل جزء منه يصرخ إلا حنجرته.

هبطا عمودياً لأن هذه لندن، وفي الحقيقة لا يمكنك القيام بأشياء كهذه هنا.

لم يتمكن من الإمساك بها لأن هذه لندن، وليست بيزا ، على بعد مليون ميل، سبعمئة وستة وخمسين إن أردنا الدقة، حيث أوضح غاليليو بما لا ريب فيه أن تسارع الأجسام الساقطة واحد بغض النظر عن وزن هذه الأجسام.

سقطا.

أدرك آرثر وهو يسقط، بسرعة وعلى نحو مثير للغثيان، أنه لو كان سيتعلق في السماء مصدقاً كل ما قاله الإيطاليون عن الفيزياء عندما لم يتمكنوا حتى من بناء برج بسيط باستقامة، فسيكونان في ورطة كبيرة، ولقد كان سقوطه أسرع من سقوط فينتشيرتس.

تشبّث بها من فوق، وتلمّس بارتباك ليمسكها من كتفيها بطريقة محكمة، ونجح الأمر.

جيد، الآن يسقطان معاً، وهو شيء لطيف ورومانسي، لكن لم يحلا المشكلة الأساسية، التي كانت أنهما يسقطان، ولم تكن الأرض لتنتظر وترى إن كان في جعبته حيل ذكية، بل كانت تصعد مسرعة للقائهما كقطار سريع.

لم يتمكن من حمل وزنها، ولم يكن لديه ما يحمله به أو عليه. الشيء الوحيد الذي تمكن من التفكير فيه هو حتمية موتهما، وإن أراد أن يقع أي شيء غير المحتوم فعليه أن يفعل الشيء غير المحتوم. هنا شعر بأنه في حالة ذهنية مألوفة.

تركها، ودفعها بعيداً، ولما أدارت وجهها إليه بزفرة ذهول من الذعر، أمسك إصبعها الصغير بإصبعه الصغير وأرجحها صعوداً، وهو يتشقلب بطريقة خرقاء فوقها.

قالت: «تباً»، وقد انقطع نفسها وراحت تلهث وهي جالسة على لا شيء إطلاقاً، ولما تمالكت نفسها طارا بعيداً في عتمة الليل.

توقفا تحت مستوى الغيوم تماماً وعاينا المكان الذي وصلا إليه بطريقة مستحيلة. لم تكن الأرض شيئاً يُنظر إليه بعين الثقة واليقين، بل تُلمَح فقط كما في حالة المرور فوقها.

جربت فينتشيرتش بعض الانقضاضات بجرأة، ووجدت أنها لو وازنت نفسها فوق كتلة من الرياح فبإمكانها القيام ببضعة انقضاضات مذهلة مع دوران على قدم واحدة في نهاية كل منها، مسبوقة بهبوط طفيف جعل ثوبها ينتفخ من حولها. وهنا يجب على القراء المتحمسين لمعرفة ما الذي كان يفعله مارڤن وفورد بريفيكت كل هذا الوقت أن يلقوا نظرة إلى فصول لاحقة، لأن صبر آرثر نفد الآن وساعدها في خلع ثوبها.

هبط الثوب بعيداً وضربته الرياح حتى استحال ذرة اختفت في النهاية، ولأسباب واضحة ومعقدة، أحدث ثورة في حياة أسرة في هاونسلو[1]، كان قد وُجِدَ مجعداً على حبل غسيلها في الصباح.

صعدا بعناق صامت حتى أصبحا يسبحان بين أطياف ضبابية من الرطوبة التي يمكنك مشاهدتها تكسو جناح الطائرة، لكن لا يمكنك الشعور بها لأنك تجلس متنعماً بالدفء داخل الطائرة الضيقة وتنظر عبر الزجاج الخشن للنافذة الصغيرة، في حين يحاول ابن أحدهم أن يسكب حليباً دافئاً بصبر على قميصك.

كان بإمكان آرثر وفينتشيرتش أن يشعرا بهذه الأطياف الهشة، الرقيقة والباردة، تغطي جسميهما، كانت هشة جداً، وباردة جداً. شعر آرثر، حتى فينتشيرتش، التي لم يكن هنالك ما يحميها من العوامل الجوية سوى زوج صغير من الألبسة الداخلية، شعر بأنه إن لم يدعا قوة الجاذبية تزعجهما، فلن يزعجهما مجرد برد أو ندرة الهواء.

مع صعود فينتشيرتش إلى كتلة الغيوم الرطبة، أزال آرثر قطعتي الثياب الداخلية ببطء شديد جداً، وهي الطريقة الوحيدة لفعل ذلك إذا كنت تطير ولا تستخدم يديك، ما أدى إلى خلق فوضى عارمة صباح اليوم التالي، في كل من إيزلورث[2] وريتشموند[3] على التوالي.

---

**(١)** مقاطعة غربي لندن – المترجم.

**(٢)** مدينة في فلوريدا – المترجم.

**(٣)** مدينة في فرجينيا – المترجم.

مكثا في الغيمة لوقت طويل لأنها كانت سميكة جداً، ولما انبثقا مبللين فوقها، وفينتشيرتش تدور ببطء كسمكة نجم البحر في جوف حوض مفيض، اكتشفا أن فوق الغيوم هو المكان الذي ينيره القمر بحق.

الأضواء مذهلة على نحو غامض. هناك جبال مختلفة في الأعلى، لكنها جبال بثلوجها القطبية الخاصة.

انبثقا على قمة كتلة من السحب المتراكمة، وراحا ينحدران بكسل على طول حوافها، في حين أخذت فينتشيرتش بدورها تخفف من ثياب آرثر، تنزعها بصعوبة حتى آخر قطعة، وهما يشقان طريقهما المدهش إلى البياض الغامر.

قبلته، طبعت قبلة على عنقه، على صدره، وسرعان ما انطلقا، يدوران ببطء وهما في شكل حرف (T) لا يوصف، حيث لو مر تنين فولورنيس الناري، وهو متخم من البيتزا، لخفق بجناحيه وسعل قليلاً من منظرهما.

إنما، بالطبع لم يكن هنالك تنانين فولورنيس النارية في الغيوم، ولم يكن وجودها ممكناً لأنها، يا للأسف، انقرضت، مثلها مثل الديناصورات، طيور الدودو، ووينتووك الخفّاق العظيم في كوكب ستيغبارتل ميجور التابع لمجموعة فراتز، ولن يعرف الكون مثيلات هذه الكائنات مجدداً، على عكس طائرات البوينغ ٧٤٧ التي كانت وافرة العدد.

سبب ظهور البوينغ ٧٤٧ المفاجئ في القائمة السابقة ليس منفصلاً عن حقيقة أن شيئاً مشابهاً حصل في حياة آرثر وفينتشيرتش بعد لحظة أو لحظتين.

إنها أشياء كبيرة على نحو مرعب. تعرف ذلك عندما توجد واحدة في الهواء معك. فمعها توجد عاصفة هواء مدوّية، حائط متحرك من الرياح

الصارخة، وسترمى بعيداً مثل الفراشات في العاصفة، إن كنت أحمق إلى درجة أن تفعل أي شيء تافه كالذي يفعله آرثر وفينتشيرتش بالقرب منها.

إنما، هذه المرة لم يكن هناك سقوط يسبب الغثيان ولا توتر، بل مجرد لحظات من إعادة التجمع وفكرة جديدة رائعة تناقلاها إيماءً بحماس عبر الضجيج الصاخب.

كانت السيدة إي. كابيلسين عجوزاً من بوستون، ماساتشوستس، وبالطبع فقد شعرت أن حياتها توشك أن تنتهي. لقد شاهدت الكثير، أربكها بعض ما شاهدته، لكن كان من الصعب عليها أن تشعر في هذه المرحلة المتأخرة بالملل من الكثير. كانت حياتها في العموم لطيفة جداً، لكن ربما سهلة ومملة بعض الشيء.

رفعت غطاء النافذة البلاستيكي بتنهيدة ونظرت إلى الجناح.

ظنت في البداية أن عليها مناداة المضيفة، لكنها فكرت، لا، اللعنة، بالطبع لا، كان هذا من أجلها، ولأجلها وحدها.

وفي الوقت الذي انزلق فيه الشخصان العصيان على الفهم إلى الخلف عن الجناح وتشقلبا في التيار الهوائي كانت قد ابتهجت كثيراً.

كانت مرتاحة كثيراً، وعلى نحو خاص لاعتقادها بأنه تقريباً كل ما قيل لها من قبل كان خطأ.

في الصباح التالي تأخر آرثر وفينتشيرتش في النوم في الزقاق على الرغم من النحيب المتواصل بأن الأثاث تم تجديده.

في الليلة التالية فعلا الأمر من جديد، لكن هذه المرة كانت معهما مشغلات أشرطة من ماركة سوني.

# الفصل السابع والعشرون

قالت فينتشيرتش بعد أيام عدة: «هذا رائع جداً، لكني في حاجة إلى معرفة ما الذي حصل لي. أترى، هناك اختلاف بيننا. فأنت فقدت شيئاً ووجدته من جديد، وأنا وجدت شيئاً وفقدته. أحتاج أن أجده مجدداً».

كان عليها الانصراف إلى أعمالها لبقية اليوم، لذا جلس آرثر ليوم من الاتصالات.

كان موري بوست هينسون صحافياً في إحدى الجرائد المغمورة. كان من اللطيف قول إنه ليس متأثراً بذلك، لكن يا للأسف، لم يكن الأمر كذلك. تصادف له أن يكون الصحافي الوحيد الذي يعرفه آرثر، لذا اتصل به الأخير في أي حال.

- «آرثر، يا ملعقة حسائي القديمة، يا سلطانيتي الفضية القديمة، كم هو مذهل سماع صوتك! أخبرني أحدهم أنك ذهبت إلى الفضاء أو ما شابه».

كانت لموري لغة الحديث الخاصة به، التي اخترعها لاستخدامه الشخصي، حيث لم يتمكن أحد آخر من التكلم بها أو فهمها. تكاد لا تكون ذات معنى. غالباً ما كانت الكلمات ذات المعنى مدفونة على نحو رائع بحيث لم يتمكن أحد من ملاحظتها في خضم تيهور الهراء. وغالباً ما تكتشف لاحقاً، في الوقت غير المناسب لكل المهتمين، معاني الكلمات التي قصدها.

قال آرثر: «ماذا؟»

- «مجرد شائعة، يا ناب الفيل القديم خاصتي، يا طاولة اللعب الصغيرة المغطاة بالجوخ خاصتي، مجرد شائعة. في الأغلب لا معنى لها، لكنّي أحتاج إلى اقتباس منك».

- «لا يوجد ما يقال، مجرد حديث في حانة».

- «نستمتع به يا طرفي الاصطناعي القديم، نستمتع به. بالإضافة إلى أنه مناسب كشيء في أحد الأشياء الأخرى مع أخبار الأسبوع الأخرى، لذا سيكون من الجيد إنكارك له. اعذرني، لقد خطر لي شيء».

كان هناك فاصل قصير، عاد في نهايته موري بوست هينسون إلى الموضوع بنبرة مرتعشة بحق.

قال: «تذكرت للتو مدى غرابة الليلة الفائتة التي قضيتها. في أي حال يا، لن أقول ذلك، كيف تشعر حيال ركوبك مذنب هالي؟»

قال آرثر بتنهيدة مكبوتة: «لم أركب مذنب هالي».

- «حسناً، كيف تشعر حيال عدم ركوبك مذنب هالي؟»

- «أشعر بارتياح كبير يا موري».

كان هنالك فاصل حين كتب موري ذلك.

- «هذا جيد لي يا آرثر، جيد لإيثيل ولي وللدجاجات. مناسب للغرابة العامة في هذا الأسبوع. أسبوع غريبي الأطوار، هكذا نفكر بتسميته. جيد، أليس كذلك؟»

- «جيد جداً».

- «إنه مناسب. أولاً، لدينا هذا الرجل الذي تمطر عليه باستمرار».

- «ماذا؟»

- «إنها الحقيقة المطلقة. كلها موثقة في كتبه السوداء الصغيرة، إنها تؤسس الحقيقة في كل مرحلة. مكتب شرطة لندن مستنفر، والرجال الصغار المضحكون بمعاطفهم البيض يأتون جواً من كل أنحاء العالم مع مساطرهم الصغيرة وصناديق ووجبات تافهة. هذا الرجل، ركبتا النحلة يا آرثر، إنه حلمتا الزنبور. سأتجرأ وأقول إنه مجموعة المناطق الحساسة الكاملة لكل حشرة طائرة معروفة في العالم الغربي. نحن نناديه إله المطر. جميل، أليس كذلك؟»

- «أظن أني قابلته».

- «إنه مناسب. ما الذي قلته؟»

- «لعلني قابلته، إنه يشتكي طوال الوقت، أليس كذلك؟»

- «مذهل! هل قابلت إله المطر؟»

- «إن كان الشخص نفسه. أخبرته أن يتوقف عن الشكوى ويعرض كتابه على أحدهم».

كان هناك فاصل متأثر من نهاية مكالمة موري بوست هينسون.

- «حسناً، لقد فعلت الكثير. لقد أنجزت الكثير بحق. اسمع، هل تعرف كم يدفع مدير رحلات لذلك الشخص كي لا يذهب إلى ميلاغا[1] هذه السنة؟ أقصد، انسَ أمر ري الصحراء وما شابهه من أمور مملة، لدى هذا الشخص وظيفة جديدة كلياً بانتظاره، مجرد تجنّبه للأماكن مقابل المال. إن

---

(١) بلدية في الأندلس، وعاصمة مقاطعة ميلاغا في إسبانيا – المترجم.

الرجل يتحول إلى وحش، آرثر، قد يتعين علينا أن نجعله يربح لعبة البينغو. اسمع، قد نسعى إلى كتابة مقالة خاصة عنك، آرثر، الرجل الذي جعل إله المطر يمطر. إنه مناسب، أليس كذلك؟».

- «عنوان جميل، لكن»...

- «قد نحتاج إل تصويرك تحت المطر في حديقة، لكن سيكون ذلك حسناً. أين أنت؟»

- «إيـ، أنا في إزلنغتون. اسمع، موري»...

- «إزلنغتون!»

- «نعم»...

- «حسناً، ماذا عن غرابة الأسبوع الحقيقية، الأشياء الغريبة على نحو خطير. هل تعرف أي شيء عن هؤلاء الناس الطائرين؟»

- «لا».

- «لا بد لك أن تعرف. هذا أمر جنوني ومثير للاهتمام. هذا أهم ما في الأمر. السكان المحليون يتصلون طوال الوقت ليقولوا إن هناك زوجاً يطيران في الليل. لدينا أشخاص في مختبرات التصوير خاصتنا يعملون في الليل ليحصلوا على صورة أصلية. لا بد أنك سمعت».

- «لا».

- «آرثر، أين كنت؟ آه، الفضاء، صحيح، حصلت على اقتباس منك. إنما، كان ذلك منذ شهور مضت. اسمع، إنها ليلة بعد ليلة هذا الأسبوع، يا بَشّارة الجبن القديمة خاصتي، في المكان الذي أنت فيه. يطير هذان الشخصان في السماء، ويقومان بكل الأشياء. ولا أقصد الرؤية عبر الجدران أو التظاهر بأنهما جسور العوارض. ألا تعرف أي شيء؟»

- «لا».

- «صديقي آرثر، كان التحدث إليك مبهجاً إلى حد يفوق الوصف، لكن عليّ الذهاب. سأرسل إليك الشاب مع الكاميرا والخرطوم. أعطني العنوان، أنا جاهز للكتابة».

- «اسمع يا موري، اتصلت لأسألك عن شيء».

- «لدي الكثير من الأعمال».

- «أردت معرفة شيء عن الدلافين».

- «لا توجد قصة. إنها أخبار السنة الماضية. انسَ أمرها، لقد اختفت».

- «إن الأمر مهم».

- «اسمع، لا أحد سيهتم لأجلها. تعلم أنه لا يمكنك الإبقاء على قصة عندما يكون الخبر الوحيد هو استمرار غياب الشيء الذي تتحدث عنه القصة. في أي حال، فذلك ليس مجالنا، جرب صحيفة السنديز. لربما سيجرون استقصاء عن الاستقصاء السابق في غضون سنتين، بحلول شهر آب. إنما، ما الذي سيفعله أي شخص الآن؟ "الدلافين، لاتزال مختفية"؟ "استمرار غياب الدلافين"؟ "الدلافين، المزيد من الأيام من دونها"؟ القصة تموت يا آرثر. إنها تستلقي على الأرض وترفس قدميها الصغيرتين في الهواء وتذهب حالياً إلى القرن الذهبي الكبير في السماء، يا خفاش الفاكهة الكهل خاصتي».

- «موري، أنا لست مهتماً إن كانت قصة. جل ما أريد معرفته هو كيف لي أن أصل إلى ذلك الشخص في كاليفورنيا الذي يدعي أنه يعرف شيئاً عنها. اعتقدت أنك قد تعرف».

# الفصل الثامن والعشرون

قالت فينتشيرتش بعد أن سحبا كمنجتها إلى الداخل تلك الليلة: «بدأ الناس يتكلمون».

قال آرثر: «ليس كلاماً فقط، بل بالطباعة بأحرف كبيرة تحت جوائز لعبة البينغو. لهذا ظننت أن من الأفضل شراء هذه».

أخرج لها الكتيبات الطويلة الرقيقة لتذاكر الطيران.

قالت وهي تحضنه: «آرثر! هل يعني ذلك أنك تمكنت من التحدث إليه؟»

قال آرثر: «أمضيت يوماً من الإنهاك الهاتفي الشديد، وتكلمت تقريباً مع كل قسم في كل جريدة في شارع فليت، وفي النهاية وصلت إلى رقمه».

- «من الواضح أنك كنت تعمل بجد، فأنت مبلل من العرق يا عزيزي المسكين».

قال آرثر بضجر: «ليس من العرق. لقد كان المصور هنا، حاولت أن أقنعه، لكن، لا عليك، الفكرة هي، نعم».

- «تَكَلمتَ إليه».

- «تكلمت إلى زوجته. قالت إن شعوراً غريباً جداً يراوده ولا يستطيع التحدث عبر الهاتف الآن، وسألت إن كان بإمكاني الاتصال لاحقاً».

جلس آرثر بتثاقل، وأدرك أنه يفتقد إلى شيء، فذهب إلى البراد بحثاً عنه.

- «هل تريدين شراباً؟»

- «أرتكب جريمة للحصول على شراب. أعرف دائماً أني سأقضي وقتاً عصيباً عندما يعايننني معلّم الكمنجة ويقول: 'نعم يا عزيزتي، أود أن نتدرب على مقطوعات تشايكوفسكي اليوم.'»

قال آرثر: «اتصلت مجدداً، وقالت إنه على بعد ٣,٢ سنة ضوئية من الهاتف، وإنه عليّ الاتصال لاحقاً».

- «آه».

- «اتصلت مجدداً، قالت إن الوضع تحسن، وإنه الآن على مسافة ٢,٦ سنة ضوئية من الهاتف، لكنها لا تزال مسافة غير مناسبة للصياح».

قالت فينتشيرتش بتردد: «ألا تعتقد أن هناك أحداً آخر يمكننا التحدث إليه؟»

قال آرثر: «يزداد الأمر سوءاً، تكلمت إلى أحد العاملين في مجلة علمية وهو يعرفه بحق، فقال إن جون واتسون لن يصدق فحسب، بل سيكون لديه الدليل القاطع، الذي غالباً ما تمليه عليه ملائكة بلحى ذهبية وأجنحة خضراء وأخفاف الدكتور شول، أن نظرية هذا الشهر السخيفة والأكثر شهرة صحيحة. وبالنظر إلى الناس المشككين بصحة هذه الرؤى فإنه سيخرج لهم القباقيب آنفة الذكر مزهواً، وهذا أقصى ما يمكنك الوصول إليه».

قالت فينتشيرتش بهدوء: «لم أكن أعرف أن الوضع بهذا السوء». وعبثت بالتذاكر بكسل.

قال آرثر: «اتصلت بالسيدة واتسون مجدداً، وبالمناسبة، قد ترغبين بمعرفة أن اسمها أركين جيل».

- «فهمت».

- «يسرني أنك فهمت، ظننت أنك لن تصدقي أياً من هذا، لذا لما اتصلت بها هذه المرة استخدمت المجيب الآلي الخاص بالهاتف لتسجيل المكالمة».

ذهب إلى المجيب الآلي وعبث بجميع أزراره لوهلة واستشاط غضبه، لأن الجهاز واحد من الأجهزة التي أوصت بها خصيصاً مجلة ويتش ومن شبه المستحيل استخدامه من دون أن يثير الغضب.

قال في النهاية وهو يمسح العرق عن جبينه: «ها هي ذي».

كان الصوت حاداً ومتقطعاً برحلته إلى ومن القمر الاصطناعي، لكنه أيضاً هادئ على نحو خلاب.

قال صوت أركين جيل واتسون: «ربما عليّ تفسير أن الهاتف في الغرفة التي لا يدخلها إطلاقاً. إنه في المأوى، كما تعلم. إن ونكو العاقل لا يحب الدخول في المأوى، لذا لا يدخل. أشعر أن عليك معرفة ذلك لتوفر على نفسك الاتصال. إن أحببت أن تقابله، فمن السهل جداً ترتيب ذلك. كل ما عليك فعله هو الدخول. فهو لن يقابل الناس إلا خارج المأوى».

قال صوت آرثر المربك بشدة: «معذرة، لم أفهم. أين المأوى؟»

قالت أركين جيل واتسون مجدداً: «أين المأوى؟ هل سبق لك أن قرأت التعليمات على عبوة أعواد تنظيف الأسنان؟»

على الشريط، كان على صوت آرثر أن يعترف أنه لم يفعل. «قد تحتاج لفعل ذلك. قد تجد أن ذلك يوضح لك الأمور قليلاً. قد تجد أن ذلك يدلك إلى موقع المأوى. شكراً لك».

أصبح صوت خط الهاتف صامتاً. أطفأ آرثر المجيب الآلي.

قال هازاً كتفيه: «حسناً، يمكننا عدُّ ذلك دعوة، لقد تمكنت حقاً من الحصول على العنوان من الشاب الذي يعمل في المجلة العلمية».

نظرت إليه فينتشيرتش متأملة بعبوس، ونظرت إلى التذاكر مجدداً.

قالت: «هل تعتقد أن الأمر يستحق العناء؟»

قال آرثر: «حسناً، الشيء الوحيد الذي يتفق عليه كل الذين كلمتهم، إلى جانب أنهم يعتقدون بأنه مجنون تماماً، هو أنه يعلم عن الدلافين أكثر من أي شخص حي».

# الفصل التاسع والعشرون

إعلان مهم. هذه الرحلة ١٢١ المتجهة إلى لوس أنجلوس. إذا كان مخطط رحلتكم لليوم لا يتضمن لوس أنجلوس، فالآن هو التوقيت المثالي للترجل من الطائرة.

# الفصل الثلاثون

استأجرا سيارة في لوس أنجلوس من أحد المحال التي تؤجر السيارات التي تخلى عنها الناس الآخرون.

قال الشاب من خلف نظارته الشمسية وهو يعطيهما المفاتيح: «توجد هناك مشكلة في جعلها تنعطف. من الأسهل في بعض الأحيان الخروج منها والبحث عن سيارة متجهة في ذلك الاتجاه».

مكثا ليلة في فندق في جادة الغروب (سنسيت) التي أخبرهما شخص بأنهما سيستمتعان بالارتباك فيها.

«جميع من هناك هم إما إنكليز، أو غريبو الأطوار، أو الاثنان معاً. لديهم حوض سباحة، حيث يمكنك الذهاب ومشاهدة نجوم روك إنكليز يقرؤون كتاب اللغة، الحقيقة والمنطق للمصورين».

كان ذلك صحيحاً. كان هنالك واحد، وكان ذلك بالضبط ما يفعله.

لم يعر موظف الكراج اهتماماً لسيارتهما، ولا بأس في ذلك، لأنهما لم يعيراها اهتماماً أيضاً.

في وقت متأخر من تلك الليلة قادا السيارة عبر تلال هوليوود على طول طريق مولهولاند، وتوقفا في البداية لينظرا إلى بحر الأضواء العائمة المتألقة، الذي كان لوس أنجلوس، ومن ثم توقفا لينظرا إلى بحر الأضواء العائمة المتألقة، الذي كان وادي سان فيرناندو. اتفقا على أن الإحساس بالتألق

توقف مباشرة في الطرف الخلفي من عينيهما، ولم يلامس أي جزء آخر منهما، وتركهما على نحو غريب غير راضين عن المشهد. كان المشهد على ما يرام مع فلول بحار الأضواء المثيرة، لكن يفترض بالضوء أن ينير شيئاً، ولم يعيرا المشهد اهتماماً في أثناء قيادتهما السيارة عبر ما كان ينيره بحر الأضواء المثير هذا.

ناما في وقت متأخر وباستياء، واستيقظا في وقت الغداء، عندما كان الحر لا يطاق.

قادا السيارة على طول الطريق السريع إلى سانتا مونيكا ليلقيا نظرتيهما أول مرة على المحيط الهادئ، المحيط الذي أمضى ونكو العاقل كل أيامه وشطراً كبيراً من لياليه وهو ينظر إليه.

قالت فينتشيرتش: «أخبرني أحدهم أنه سمع سيدتين على هذا الشاطئ، تفعلان ما نفعله، تنظران إلى المحيط الهادئ أول مرة في حياتيهما. ويبدو أنه بعد فاصل طويل، قالت إحداهما للأخرى: 'أتعلمين، إنه ليس كبيراً كما ظننت.'»

تعدل مزاجهما تدريجياً عندما مشيا على طول الشاطئ في ماليبو، وشاهدا أصحاب الملايين في أكواخهم البحرية الأنيقة يراقبون بعضهم ليعرفوا من الأغنى بينهم.

تعدل مزاجهما أكثر عندما بدأت الشمس تنزل في النصف الغربي من السماء، ولما عادا إلى سيارتهما السريعة واتجها نحو الغروب، الذي لم يكن لأي ذوّاق أن يحلم ببناء مدنية كلوس أنجلوس أمامه، شعرا فجأة بسعادة مدهشة وغير منطقية، ولم يهمهما أن مذياع السيارة القديمة لم يشغل سوى إذاعتين، في الوقت نفسه. لا يهم، فالإذاعتان تبثان موسيقا روك آند رول جيدة.

قالت فينتشيرتش بحزم: «أعرف أنه سيتمكن من مساعدتنا، أعرف أنه سيتمكن من ذلك. ذكرني باسمه الذي يحب أن ينادى به».

- «ونكو العاقل».

- «أعرف أنه سيتمكن من مساعدتنا».

تساءل آرثر إن كان سيتمكن، وتمنى أن يتمكن، وتمنى أن يُوجَد الشيء الذي فقدته فينتشيرتش هنا، على هذه الأرض، بغض النظر عما قد تكونه هذه الأرض.

تمنى، كما سبق له أن تمنى بحماس واستمرار منذ أن تحدثا معاً على ضفاف السيربنتين[1]، ألا يُطلَبَ إليه محاولة تذكر شيء دفنه متعمداً ونهائياً في أعماق ذاكرته، حيث تمنى أن يتوقف هذا الشيء عن إزعاجه.

توقفا في سانتا باربارا عند مطعم سمك ضمن ما بدا أنه كان مستودعاً فيما مضى.

تناولت فينتشيرتش طبقاً من سمك البوري الأحمر، وقالت إنه شهي.

تناول آرثر شريحة من سمكة السياف، وقال إنها جعلته عصبياً. أمسك بذراع نادلة كانت تمر إلى جانبه ووبخها.

سألها غاضباً: «لم هذه السمكة اللعينة لذيذة المذاق؟»

قالت فينتشيرتش للنادلة الجفلة: «اعذري صديقي من فضلك، أظنه يمضي يوماً جميلاً بعد عناء طويل».

---

(١) بحيرة للاستجمام في لندن، إنكلترا – المترجم.

# الفصل الحادي والثلاثون

إذا أخذت اثنين من ديفيد بووي[1] وألصقت أحدهما فوق الآخر، ثم وصلت ديفيد بوي آخر في نهاية كل ذراع من ذراعي ديفيد بوي العلوي ولففت كل ما سبق بثوب شاطئ متسخ لحصلت عندئذ على شيء لا يبدو تماماً مثل جون واتسون، لكن أولئك الذين يعرفونه سيجدون ذلك الشيء مألوفاً على نحو مؤثر.

كان طويلاً ويمشي على نحو أخرق.

لما كان يجلس على أريكته محدقاً إلى المحيط الهادئ، باكتئاب هادئ عميق أكثر منه إدراك هائل، كان من الصعب قليلاً معرفة أين تنتهي الأريكة وأين يبدأ هو، وستتردد في وضع يدك على ذراعه فقد تنهار الكتلة سريعاً وفجأةً وتقص إبهامك. إلا أن ابتسامته حين يبتسم في وجهك كانت مميزة، فهي تبدو مؤلفة من أسوأ ما يمكنها الحياة أن تفعله بك، لكن عندما يركبها بشكل مؤقت على ذلك النحو فوق وجهه يجعلك تقول لنفسك: «أوه، حسناً، لا بأس في ذلك».

حينما يتكلم، يجعلك مسروراً لأنه يكثر من استخدام الابتسامة التي تجعلك تقول لنفسك: «أوه، حسناً، لا بأس في ذلك».

---

(١) مؤلف، مطرب وممثل إنكليزي، توفي عام ٢٠١٦ – المترجم.

قال: «نعم، إنهم يأتون لرؤيتي. يجلسون هنا. يجلسون حيث أنتما تجلسان». كان يتكلم عن الملائكة باللحى الذهبية والأجنحة الخضراء وأخفاف الدكتور شول.

- «يتناولون رقائق الذرة بالجبن التي يقولون إنهم لا يستطيعون الحصول عليها في موطنهم. يتعاطون الكثير من الكوكايين وهم بارعون بأشياء كثيرة».

قال آرثر: «أحقاً هم كذلك؟ إذاً، إيه... متى يكون ذلك؟ متى يأتون؟»

حدّق المحيط الهادئ أيضاً. كانت هناك مجموعة من طيور الطيطوي الصغيرة التي تركض بموازاة حافة الشاطئ وقد بدا أنها تعاني من هذه المشكلة: كانت في حاجة إلى إيجاد طعامها في الرمال التي غسلتها موجة للتو، لكنها لم تستطع احتمال أن تبلل أرجلها. للتعامل مع هذه المشكلة، ركضت الطيور بطريقة غريبة فبدت كأنها من صنع شخص ذكي جداً في سويسرا.

كانت فينشيرتش تجلس على الرمال وتنقش عليها بكسل باستخدام أصابعها.

قال ونكو العاقل: «غالباً في عطل نهاية الأسبوع، على دراجات صغيرة. إنها آلات رائعة». وابتسم.

قال آرثر: «فهمت، فهمت».

استرعت سعلة طفيفة من فينتيشرتش انتباهه فاستدار إليها. كانت قد رسمت في الرمال رسماً بسيطاً لهما في الغيوم. ظن لوهلة أنها تحاول إثارته، ثم أدرك أنها كانت توبخه.

كانت تقول: «من نحن لنقول إنه مجنون؟»

كان منزله غريباً بالطبع، وبما أن هذا أول شيء رآه آرثر وفينتشيرتش فقد تساعد معرفة شكله.

كان وفق الشكل التالي:

كان مقلوباً.

مقلوباً بحق إلى درجة أنهما اضطرا أن يوقفا السيارة على السجادة.

على طول ما قد يُطلَق عليه في العادة اسم حائط خارجي، الذي كان قد زُيّن بلون قرنفلي جميل يستخدم للتصميم الداخلي، كان يوجد رفوف كتب، وزوج من الطاولات ثلاثية الأرجل ذات الأسطح شبه الدائرية التي انتصبت بطريقة لتوحي بأن أحدهم قد أسقط حائطاً عليها للتو، وصور كان من الواضح أنها مصممة لتهدئ.

إلا أن السقف كان أغرب شيء.

لقد انطوى على نفسه كشيء يمكن أن يكون إم. سي. إيشر[1] قد خطط له بعد أن خطر له، لو أن الأخير أمضى ليالي قاسية في المدينة، حيث إن هذا السرد لا يهدف للإيحاء بأن ذلك ما حصل له، على الرغم من صعوبة عدم التساؤل في بعض الأحيان عند النظر إلى رسوماته، وبالتحديد تلك التي تحتوي على درجات السلم الغريبة، لأن الثريات التي يفترض بها أن تكون معلقة في الداخل، كانت متجهة إلى الأعلى في الخارج.

إنه أمر مربك.

---

**(١)** ماوريتس كورنيلس إيشر: فنان تصويري هولندي – المترجم.

كُتِبَ على اللافتة فوق الباب الرئيس «تفضل إلى الخارج،» وهذا ما فعلاه بقلق.

بالطبع، فإن الداخل هو حيث كان الخارج. قطع قرميدية خشنة، كُحّل ما بينها بالإسمنت بطريقة جميلة، مزاريب مرممة على نحو جيد، ممر للحديقة، زوج من الأشجار الصغيرة، وبعض الغرف.

أما الجدران الداخلية فتمددت إلى الأسفل، طُوِيَت بغرابة، وفُتِحَت في الأطراف، وكأن الأمر تم باستخدام خدع بصرية يمكن أن تتسبب لإم. سي. إيشر بالعبوس والتساؤل عن كيفية فعل ذلك، لتطوّق المحيط الهادئ.

قال جون واتسون، ونكو العاقل: «مرحباً».

فكرا قائلين لنفسيهما: «جيد، إن الترحيب شيء يمكننا احتماله».

قالا: «مرحباً،» وعلى نحو مفاجئ كانوا جميعهم مبتسمين.

لوهلة غير قصيرة ظهر عليه بغرابة كرهاً للتحدث عن الدلافين، وبدا مشتتاً على نحو غريب وهو يقول: «نسيت»... كلما ذُكرت، وأراهما بفخر شذوذ منزله.

قال: «يسعدني، بطريقة غريبة، ولا يؤذي أحداً، ألا يتمكن اختصاصي بصريات كفء من تصحيح ذلك».

أحباه. كان منفتحاً وفاتناً وبدا أن بإمكانه السخرية من نفسه قبل أن يفعل ذلك أي أحد.

قال آرثر وهو ينظر حوله: «ذكرت زوجتك أعواد تنظيف الأسنان». قالها بنظرة متفحصة كأنه قلق من ظهورها المفاجئ من خلف الباب لتذكر الأعواد مجدداً.

ضحك ونكو العاقل. كانت ضحكة خفيفة مطمئنة، وبدت كواحدة اعتاد استخدامها في السابق وكان سعيداً بها.

قال: «آه صحيح، ذلك متعلق باليوم الذي اكتشفت فيه أخيراً أن العالم جُنّ تماماً وبنيت المأوى لوضعه فيه، يا لشقائه، وتمنيت أن يتحسن حاله».

في هذه المرحلة، عاد آرثر ليشعر بالتوتر قليلاً.

قال ونكو العاقل: «هنا نحن خارج المأوى». وأشار مجدداً إلى قطع القرميد الخشنة، الإسمنت، والمزاريب. ثم أشار إلى الباب الأول الذي دخلا منه في البداية وقال: «اعبرا هذا الباب وستصبحان في المأوى. حاولت تزيينه بشكل سار ليبقى النزلاء سعيدين، لكن لا يسع المرء فعل الكثير. أنا شخصياً لا أدخله. ولو حصل وتقت إلى الدخول، وهذا نادر الحدوث هذه الأيام، فإني ببساطة أنظر إلى اللافتة المكتوبة فوق الباب وأمتنع عن القيام بالأمر».

قالت فينتشيرتش: «هذه؟» وأشارت بارتباك إلى صفيحة معدنية زرقاء كُتب عليها بعض التعليمات.

«نعم، إنها الكلمات التي حولتني في النهاية إلى الناسك الذي ترونه. كان الأمر مفاجئاً إلى حد ما. رأيت الكلمات، وعرفت ما علي فعله».

كُتِبَ على اللافتة:

«أمسك بالعود في منتصفه. رطب الطرف المدبب في الفم. أدخله في فراغ السن، الطرف غير الحاد إلى جانب اللثة. حركه بلطف نحو الداخل والخارج».

قال ونكو العاقل: «بدا لي أن أي حضارة فقدت صوابها إلى درجة أن تحتاج إلى وضع مجموعة من التعليمات المفصلة لاستخدام علبة من أعواد تنظيف الأسنان، هي حضارة لا يمكنني أن أعيش فيها وأبقى عاقلاً».

حدّق المحيط الهادئ من جديد كأنه يتحداه كي يكلمه ويثرثر معه، لكن المحيط ظل مكانه بهدوء ولاعب طيور الطيطوي.

«وفي حال خطر في بالكما أن تتساءلا، إذ إنني أتفهم ذلك الشيء، فإنني سليم العقل تماماً. لذلك أسمي نفسي ونكو العاقل، لأطمئن الناس على هذه الناحية. ونكو هو الاسم الذي كانت أمي تناديني به عندما كنت فتى أخرق وأُوقع الأغراض، والعاقل هو ما أنا عليه الآن،» ثم أضاف بواحدة من تلك الابتسامات التي تجعلك تقول لنفسك: «أوه، حسناً، لا بأس في ذلك».: «وما أنوي البقاء عليه. هلّا ذهبنا إلى الشاطئ لنرى ما هي الموضوعات التي سنناقشها؟»

ذهبوا إلى الشاطئ، حيث بدأ الكلام عن الملائكة باللحى الذهبية والأجنحة الخضراء وأخفاف الدكتور شول.

قالت فينتشيرتش برفق وهي مفعمة بالأمل: «بخصوص الدلافين»...

قال ونكو العاقل: «يمكنني أن أريكما الأخفاف».

- «أتساءل، هل تعرف»...

قال ونكو العاقل: «هل تريدان أن أريكما الأخفاف؟ إنها لدي، سأحضرها. لقد صنعتها شركة الدكتور شول، ويقول الملائكة إنها مناسبة جداً لطبيعة الأرض التي يتوجب عليهم العمل فيها. يقولون إنهم يديرون

عربة لبيع المأكولات إلى جانب الرسالة. لما قلت إنني لا أعلم ما يعنيه ذلك، قالوا لا، لا تعلم، وضحكوا. حسناً، سأنال منهم في أي حال».

لما قفل عائداً باتجاه الداخل، أو الخارج، حسب كيفية نظرك إلى الأمر، نظر آرثر وفينتشيرتش إلى بعضهما بعضاً بذهول وبنوع من القنوط، ثم هزا كتفيهما، وبكسل رسما أشكالاً في الرمال.

قال آرثر بهدوء: «كيف هي الأقدام اليوم؟»

- «بخير. لا أشعر بشيء مزعج في الرمال، أو في الماء. الماء يلامسها على نحو ممتاز. أظن أن هذا ليس عالمنا».

هزت كتفيها وقالت: «ماذا تظنه قصد بكلمة الرسالة؟»

قال آرثر: «لا علم لي،» على الرغم من أن ذكرى رجل يدعى براك، كان يضحك عليه باستمرار، بقيت تزعجه.

كان ونكو يحمل عند عودته شيئاً أذهل آرثر. لم تكن الأخفاف، فهي كانت أخفافاً عادية جداً ذات قاعدة خشبية.

قال: «أظن أنكما تودان رؤية ما ينتعله الملائكة في أقدامهم. لمجرد الفضول. بالمناسبة، لست أحاول إثبات أي شيء. أنا عالم وأعرف مما يتشكل البرهان. إنما، السبب في استخدامي لاسم الطفولة خاصتي هو تذكير نفسي بأن على العالم أن يكون تماماً كالطفل، فلو رأى شيئاً، عليه أن يقول إنه يراه، بغض النظر عما إذا كان ذلك الشيء هو ما يريد أن يراه. انظر أولاً، ومن ثم فكر، بعد ذلك اختبر. إنما، دائماً انظر أولاً، وإلا فإنك لن ترى سوى ما تتوقعه. معظم العلماء ينسون ذلك. سأريكما شيئاً لتوضيح الأمر لاحقاً. لذا،

السبب الآخر خلف استخدامي لاسم ونكو العاقل هو أن الناس سيظنون أنني أحمق. هذا يمكنني من النطق بما أشاهده عندما أشاهده. من غير الممكن أن تكون عالماً إن كنت ستهتم باعتقاد الناس أنك أحمق. في أي حال، أعتقد أيضاً أنكما قد تودان رؤية هذا».

كانت رؤيته يحمل ذلك الشيء هي ما أذهلت آرثر، لأن ذلك الشيء كان حوض سمك زجاجياً ذا لون رمادي-فضي رائع، ويبدو أنه مطابق للحوض الموجود في غرفة نوم آرثر.

مضى على آرثر الآن زهاء الثلاثين ثانية وهو يحاول، من غير أن يفلح، قول: «من أين حصلت على هذا؟» بحدة وزفرة في صوته.

أخيراً سنحت له الفرصة، لكنه فوتها بجزء من الثانية.

قالت فينتشيرتش بحدة وزفرة في صوتها: «من أين حصلت على هذا؟»

حدّق آرثر إلى فينتشيرتش بحدة وزفرة في صوته وقال: «ماذا؟ هل رأيت واحداً من هذا قبلاً؟»

قالت: «نعم، لدي واحد. أو بالأحرى كان لدي. سرقه راسل ليضع كرات الغولف خاصته فيه. لا أدري من أين أتى، لكني كنت غاضبة من راسل لسرقته. لم، هل لديك واحد؟»

- «نعم، كان»...

أدرك الاثنان أن ونكو العاقل كان يحدقهما جيئة وذهاباً، محاولاً أن يزفر في كل جانب.

قال لكليهما: «هل لديكما واحد من هذا أيضاً؟»

قالا: «نعم».

نظر مطولاً وبهدوء إلى كل منهما، ثم رفع الحوض ليلتقط ضوء شمس كاليفورنيا.

بدا الحوض كأنه يوشك أن يغني مع الشمس، يوشك أن يصدح من قوة ضوئها، ويصدر أقواس قزح داكنة ورائعة حول الرمال وعليها. أداره وأداره. تمكنا بوضوح تام في الزخرفة المنقوشة عليه من رؤية الكلمات: «إلى اللقاء، وشكراً لأجل كل السمك».

سأل ونكو بهدوء: «هل تعرفان ما هذا؟»

هزّا رأسيهما ببطء، وبتعجب، كأنهما منومان مغناطيسياً من وميض الظلال اللامعة في الزجاج الرمادي.

قال ونكو ببطء وبصوت خفيض: «إنها هدية وداع من الدلافين، الدلافين التي أحببتها ودرستها، وسبحت معها، وأطعمتها السمك، حتى إني حاولت تعلم لغتها، التي كانت مهمة جعلتها مستحيلة ، بالنظر إلى حقيقة أنني أدركت الآن أنها كانت قادرة تماماً على التواصل بلغتنا لو أنها أرادت ذلك».

هزّ رأسه بابتسامة بطيئة للغاية، ومن ثم نظر مجدداً إلى فينتشيرتش، وإلى آرثر.

قال لآرثر: «هل لك... ما الذي فعلته بحوضك؟ هل لي أن أسألك ذلك؟»

قال آرثر بقليل من الإحراج: «إيه، وضعت سمكة فيه، تصادف لي أن أمتلك سمكة لا أعرف ما أفعل بها، و، إيه، كان هناك هذا الحوض». ثم تلاشى صوته.

قال: «ألم تفعل أي شيء آخر؟ لا، كنت لتعلم لو فعلت». وهزّ رأسه مجدداً.

تابع ونكو بنبرة جديدة في صوته: «زوجتي تحتفظ ببذور القمح في حوضنا، وظلت كذلك حتى الليلة الماضية»...

قال آرثر بهدوء وبطء: «ماذا حدث الليلة الماضية؟»

قال ونكو بهدوء: «نفدت من عندنا بذور القمح،» وأضاف: «خرجت زوجتي لتحضر المزيد». لوهلة بدا ضائعاً في أفكاره.

قالت فينتشيرتش بالنبرة المرهقة نفسها: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

قال ونكو: «غسلته، غسلته بعناية فائقة جداً جداً، مزيلاً كل أثر لبذور القمح، ثم جففته ببطء شديد جداً وبعناية بقطعة قماش لا تحتوي كتّاناً، وقلّبته على كل أوجهه. ثم قربته إلى أذني. هل سبق لكما... هل سبق لكما أن قربتما حوضاً إلى أذنيكما؟»

هزّا رأسيهما ببطء، وبصمت.

قال: «ربما عليكما فعل ذلك».

# الفصل الثاني والثلاثون

هدير المحيط العميق.

تَكَسُّر الأمواج على شواطئ أبعد من الخيال.

رعود الباطن الصامتة.

وبينها، أصوات تنادي، ومع ذلك ليست أصواتاً، زقزقات تُدَندَن، أرضيون، وأغاني أفكار نصف ملفوظة.

تحيات، أمواج من التحيات، تنحدر عائدة إلى الصمت، كلمات تتكسر مع بعضها.

انهيار الحزن على شواطئ الأرض.

أمواج من الفرح على... أين؟ عالم وُجِدَ على نحو لا يوصف، وُصِلَ إليه على نحو لا يوصف، ورطب على نحو لا يوصف، أغنية الماء.

لازمة موسيقية من الأصوات الآن، تفسيرات صاخبة، لكارثة لا يمكن تجنبها، عالم سَيُدَمَّر، موجة من اليأس، نوبة من القنوط، خريف يحتضر، ومجدداً تَكَسُّر الكلمات.

وعندئذ دفعة من الأمل، اكتشاف أرض مستورة في نتائج الزمن المُغَلَّف، أبعاد مغمورة، تأثير التوازي، التأثير العميق، دوران الإرادة، قذفها وشطرها، القتال.

أرض جديدة، وُضِعَت كبديل، الدلافين اختفت.

من ثم وبشكل مذهل، صوت وحيد، واضح تماماً.

- «لقد أتت بهذا الحوض إليكم حَمْلَةُ حفظ البشر. نستودعكم».

وعند ذلك يتلاشى صوت الأجسام الفضية تماماً والطويلة الثقيلة، في حفرة مجهولة لا قرار لها، وهي تقهقه بهدوء.

# الفصل الثالث والثلاثون

مكثوا في تلك الليلة خارج المأوى وشاهدوا التلفاز من داخله.

لما عادت نشرة الأخبار مجدداً قال ونكو العاقل: «هذا ما أردت أن تشاهداه، إنه زميل قديم لي. يجري تحقيقاً في بلدكما. شاهدا».

كان مؤتمراً صحفياً.

- «أخشى أنه في الوقت الحالي لا يمكنني التعليق على الاسم 'إله المطر'، ونحن نناديه أنموذجاً لظاهرة الطقس العفوي شبه العادي».

- «هل يمكنك أن تخبرنا ماذا يعني ذلك؟»

- «لست متأكداً تماماً. لنكن واضحين هنا، لو وجدنا شيئاً لا نستطيع فهمه فسنطلق عليه اسماً لا تستطيعون فهمه، أو بالتأكيد، لفظه. أقصد أنه لو تركناكم تنادونه إله المطر، فذلك يعني أنكم تعرفون شيئاً لا نعرفه، وأخشى أنه لا يمكننا السماح بذلك. لا، في البدء علينا أن نطلق عليه اسماً يدل على أنه لنا، وليس لكم، بعد ذلك نبدأ البحث عن طريقة لإثبات أنه ليس ما ادعيتم، بل ما ادعيناه.وإذا ثبت أنكم على حق، فستكونون على خطأ، لأننا ببساطة سنطلق عليه اسم "فوق الطبيعي" وليس ما وراء الطبيعي أو خارقاً للطبيعة لأنكم تعتقدون أنكم تعرفون ما تعنيه هذه

المصطلحات الآن، لا، "محفز الترسيب التصاعدي فوق الطبيعي". وقد نرغب في إدخال كلمة "شِبه" في مكان ما من تلك العبارة لنحمي أنفسنا. إله المطر! يا للسخف، لم أسمع بهراء كهذا في حياتي. باعتراف الجميع، لن تمسكوا بي وأنا أقضي عطلة معه. شكراً لكم، ذلك كل شيء الآن، ولم يبق سوى أن نقول 'مرحباً' لونكو إذا كان يشاهد».

# الفصل الرابع والثلاثون

في طريق عودتهما كانت هنالك امرأة تجلس إلى جانبهما في الطائرة، وكانت تنظر إليهما على نحو غريب.

تحدثا إلى بعضهما بهدوء.

قالت فينتشيرتش: «لا زلت مصرّة كي أعرف، ويراودني شعور قوي بأنك تعرف شيئاً لا تخبرني به».

تنهد آرثر وأخرج قصاصة ورق.

قال: «هل معك قلم رصاص؟»

بحثت في حقيبتها ووجدت واحداً.

قالت: «ما الذي تفعله يا عزيزي؟» بعد أن أمضى عشرين دقيقة وهو عابس، يمضغ قلم الرصاص، يخربش على الورقة، يشطب أشياء، يخربش من جديد، يمضغ قلم الرصاص من جديد، غمغم بانزعاج.

- «أحاول تذكر عنوان أعطاني إياه أحدهم في إحدى المرات».

قالت: «ستكون حياتك أبسط بكثير إن اشتريت لنفسك دفتر عناوين».

في النهاية أعطاها الورقة.

قال: «اعتني بها».

نظرت إليها. بين الخربشات والشطب كانت هناك الكلمات التالية: «جبال كينتولوس كازغار. سيقوربيابستري. كوكب بريليومتران. شمس-زراس. القطاع المجري كيو كيو ٧ أكتيف دجي غاما».

- «وماذا يوجد هناك؟»

قال آرثر: «يبدو أنها رسالة الرب الأخيرة إلى خلقه».

قالت فينتشيرتش: «يبدو هذا أفضل، كيف نصل إلى هناك؟»

- «هل حقاً تريدين»...

قالت فينتشيرتش بصرامة: «نعم، أريد أن أعرف بحق».

نظر آرثر عبر الزجاج الخشن للنافذة الصغيرة إلى السماء الفسيحة في الخارج.

قالت المرأة التي كانت تنظر إليهما على نحو غريب: «معذرة، آمل ألّا تظنّا أنّي جلفة. أملّ كثيراً في هذه الرحلات الجوية الطويلة، ومن اللطيف التكلم إلى أحدهم. اسمي إينيد كابلسين، أنا من بوستون. أخبراني، هل تطيران كثيراً؟»

# الفصل الخامس والثلاثون

ذهبا إلى منزل آرثر في ويست كنتري[1]، وأقحما زوجاً من المناشف وأغراضاً في حقيبة، وبعد ذلك جلسا ليفعلا الشيء الذي يمضي كل مسافر مجري وقته وهو يفعله.

انتظرا صحناً طائراً ليمر بالقرب منهما.

في إحدى الليالي، وبينما هما جالسان بائسين يراقبان السماء، قال آرثر: «فعل صديق لي هذا لمدة خمس عشرة سنة».

- «من كان ذلك؟»

- «يدعى فورد بريفيكت».

انتبه آرثر لنفسه وهو يفعل شيئاً لم يتوقع إطلاقاً أن يفعله مجدداً.

لقد تساءل عن مكان فورد بريفيكت.

بمصادفة غريبة، كان هنالك تقريران صحفيان في اليوم التالي، واحد يلقي الضوء على حادثة مذهلة جداً متعلقة بصحن طائر، والآخر حول سلسلة من أعمال الشغب غير اللائقة في الحانات.

ظهر فورد بريفيكت في اليوم التالي وقد بدا عليه الإعياء ويتذمر من أن آرثر لم يرد على الهاتف قط.

---

(١) منطقة في جنوب غربي إنكلترا – المترجم.

في الواقع، بدا متعباً جداً، ولم يكن مجرد تعب كما لو أنه سُحِبَ إلى الخلف عبر سياج، بل كما لو أن السياج كان يُسحَب في الوقت نفسه إلى الخلف عبر حصّادة درّاسة. دخل غرفة جلوس آرثر مترنحاً، وهو يلوّح بيده رافضاً كل محاولات الدعم، وذلك الشيء كان خطأ، لأن مجهود التلويح تسبب بفقدان توازنه دفعة واحدة، وكان على آرثر في نهاية المطاف أن يسحبه إلى الأريكة.

قال فورد: «شكراً لك، شكراً جزيلاً لك. هل لديك»... وغط في نوم لثلاث ساعات.

لما استعاد وعيه تابع فجأة: «... أدنى فكرة كم هو صعب الحصول على خط هاتفي في نظام الهاتف البريطاني من الثريا؟ أرى أنه ليس لديك، لذا سأخبرك، ونحن نرتشف كوب القهوة السوداء الكبير الذي أنت بصدد تحضيره لي».

لحق بآرثر متأرجحاً إلى المطبخ.

- «لا ينفك عمال المقسم الأغبياء يسألونك عن المكان الذي تتصل منه، فتحاول أن تقول لهم ليتشوورث[1]، فيخبرونك بأن ذلك غير ممكن إن كنت متصلاً على هذه الدارة. ما الذي تفعله؟»

- «أحضّر لك بعض القهوة السوداء».

قال فورد: «أوه». وبدا محبطاً على نحو غريب، نظر في المكان بطريقة بائسة.

---

(١) بلدة في إنكلترا – المترجم.

قال: «ما هذا؟»

- «منفوش الأرز».

- «وهذا؟»

- «بابريكا».

قال فورد بكآبة: «فهمت،» وأعاد المادتين إلى مكانهما، واحدة فوق الأخرى، لكن لم يبد أنهما متوازنتان تماماً، لذا وضع السفلية فوق العلوية، وبدا أن الأمر نجح.

قال: «إرهاق فضاء قليل، ما الذي كنت أقوله؟»

- «كنت تتحدث عن عدم الاتصال من ليتشوورث».

- «لم أكن كذلك. شرحت ذلك للسيدة. 'ليتشوورث اللعينة،' قلت: 'إن كان موقفك كذلك، فأنا في الحقيقة أتصل من سفينة استطلاع للمبيعات تابعة لشركة سيريوس سايبرنيتكس، وأنا حالياً في مرحلة السرعة تحت الضوئية من رحلة بين النجوم المعروفة في كوكبكم، ولو أنها ليست بالضرورة معروفة لك، يا سيدتي العزيزة.' قلت: 'سيدتي العزيزة،'» تابع فورد بريفيكت: «لأنني لم أرد لها أن تغضب من إيحائي بأنها جاهلة قميئة»...

قال آرثر دينت: «بارع،»

قال فورد: «بالضبط، بارع». وعبس.

قال: «إرهاق الفضاء، سيئ جداً للعبارات البينية. عليك أن تساعدني مجدداً،» وتابع: «بأن تذكرني بالذي كنت أتحدث عنه».

قال آرثر: «بين النجوم، المعروفة في كوكبكم، ولو أنها ليست بالضرورة معروفة لك، يا سيدتي العزيزة، كـ... »

ختم فورد منتصراً: «الثريا الخامس والثريا السادس. كان في مزاح هذه المحادثة تبجح بعض الشيء، أليس كذلك؟»

- «اشرب القهوة».

- «شكراً لك، لا. وقلت: 'يُمكنني إخبارك بأن السبب خلف إزعاجي لك بالأمر عوضاً عن طلب الرقم مباشرة، إذ إن لدينا معدات اتصالات معقدة جداً هنا في الثريا، هو أن البخيل ابن الضاري الذي يقود هذه السفينة ابنة الضارية، يصر على أن أجري مكالمة مدفوعة التكاليف من المتسلم. هل تصدقين ذلك؟'»

- «وهل صدقت ذلك؟»

قال فورد: «لا أدري، كانت قد أغلقت السماعة في هذا الوقت،» وسأل بعنف: «إذاً، ما الذي فعلته بعد ذلك حسب رأيك؟»

قال آرثر: «ليست لدي أدنى فكرة يا فورد».

قال فورد: «يا للأسف، كنت أتمنى أن تستطيع تذكيري. أكره هؤلاء الناس بحق، كما تعلم. إنهم بحق أكثر من أكره في الكون، فهم يمضون في الفضاء السماوي في آلاتهم الخردة التي لا تعمل كما يجب، أو حينما تفعل، تقوم بوظائف لا يمكن أن يطلبها إنسان عاقل،» وأضاف بوحشية: «وتبدأ بإصدار الأصوات لتعلمك أنها أتمت ما كانت تفعله».

كان ذلك صحيحاً تماماً، وهي وجهة نظر جديرة بالاحترام يتبناها على نطاق واسع الناس سليمو التفكير، الذين يتميزون بكونهم سليمي التفكير لمجرد أنهم يتبنون وجهة النظر هذه.

يقول دليل المسافر إلى المجرة، في لحظة من وضوح الحجة، التي هي مميزة تقريباً في سجلّه الحالي المكون من خمسة ملايين وتسعمئة وثلاثة وسبعين ألفاً وخمسمئة وتسع أوراق، عن منتجات شركة سيريوس سايبرنيتكس: «من السهل جداً تجاهل عدم فائدتها إطلاقاً عن طريق الإحساس بالإنجاز الذي تحصل عليه من جعلها تعمل أساساً.

بتعبير آخر، وهذا هو المبدأ الأساسي الذي بُنِيَ عليه نجاح الشركة في كل المجرة، تم إخفاء أخطاء التصميم الأساسية تحت أخطاء التصميم السطحية».

تحدث فورد بصخب: «وكان هذا الشخص في رحلة لبيع المزيد منها! مهمته ذات السنوات الخمس للبحث والاكتشاف في كواكب جديدة وغريبة، وبيع أنظمة موسيقا متقدمة بديلة لمطاعم هذه الكواكب ومصاعدها وحانات النبيذ فيها. أو، إن لم يكن فيها مطاعم، مصاعد، وحانات نبيذ، أن يسرع نمو حضارتها اصطناعياً حتى يصبح فيها! أين القهوة تلك!»

- «تخلصت منها».

- «اصنع المزيد، تذكرت الآن ما الذي فعلته بعد ذلك. أنقذت الحضارة كما نعرفها. أعرف أنه كان شيئاً من هذا القبيل».

تعثر بعزم وهو عائد إلى غرفة الجلوس، حيث بدا أنه مستمر في التحدث إلى نفسه، السقوط على الأثاث، وإصدار أصوات بيب-بيب.

تبعه آرثر بعد دقيقتين بوجهه الهادئ جداً.

بدا فورد مذهولاً وسأله: «أين كنت؟»

قال آرثر وهو لا يزال هادئ الوجه جداً: «أعد بعض القهوة».

أدرك آرثر منذ وقت طويل أن الطريقة الوحيدة لمصاحبة فورد بنجاح هي أن تتمتع بالكثير من الهدوء في كل الأوقات.

قال فورد غاضباً: «لقد فوّت أفضل جزء! فوّت الجزء الذي أهاجم فيه الشخص! عليّ الآن مهاجمته من جديد!»

ألقى نفسه بتهور على كرسي وكسره.

قال بكآبة: «كانت الحركة أفضل في المرة السابقة». ولوح يده على نحو مبهم باتجاه كرسي آخر مكسور كان قد قيده إلى طاولة العشاء.

قال آرثر وهو يعاين الحطام المُقَيَّد بهدوء: «فهمت، ولم كل مكعبات الثلج هذه؟»

صرخ فورد: «ماذا؟ ماذا؟ هل فوّت هذا الجزء أيضاً؟ هذه غرفة تعطيل الحركة! وضعت الشخص في غرفة تعطيل الحركة. حسناً، كان علي فعل ذلك، أليس كذلك؟»

قال آرثر بصوته الهادئ: «هذا ما يبدو».

صاح فورد: «لا تلمس ذلك!»

بهدوء توقف آرثر الذي كاد يعيد سماعة الهاتف، التي، لسبب غامض، كانت موضوعة على الطاولة عوضاً عن حاضنتها.

قال فورد وهو يهدأ: «حسناً، استمع إليها».

وضع آرثر سماعة الهاتف على أذنه وقال: «إنها الساعة الناطقة».

قال فورد: «بيب، بيب، بيب، بيب، بيب، بيب، بيب».

قال آرثر بكل ما أمكنه من هدوء: «فهمت».

قال فورد: «بيب، بيب، بيب، هو بالضبط ما يمكن سماعه في كل سفينة ذلك الشخص، في حين هو نائم، في الثلج، ويدور ببطء حول قمر صغير معروف لكوكب سيسيفراس ماغنا. إنها ساعة لندن الناطقة!»

قال آرثر مجدداً: «فهمت،»، وقرر أن الوقت قد حان ليسأل السؤال المهم.

قال بحدة: «لم؟»

قال فورد: «بقليل من الحظ، ستعمل فاتورة الهاتف على إفلاس الملاعين».

ألقى بنفسه وهو يتصبب عرقاً على الأريكة وقال: «في أي حال، كان وصولاً مفاجئاً، ألا تعتقد ذلك؟»

# الفصل السادس والثلاثون

أذهل الصحن الطائر الذي مكث فيه فورد العالم.

أخيراً، لم يكن هنالك من شك، لا احتمالية للخطأ، لا هلوسات، لا عملاء غامضون لوكالة الاستخبارات المركزية وُجِدوا عائمين في الخزانات.

هذه المرة كان الأمر حقيقياً، لا لبس فيه. كان من دون شك لا لبس فيه.

هبط بتجاهل رائع لأي شيء تحته وحطم مساحات ضخمة لبعض أغلى العقارات في العالم، بما في ذلك معظم هارودس[1].

كان ذلك الشيء ضخماً، بعرض ميل تقريباً، حسب قول بعضهم، بلون فضي باهت، محفّر، ملذوع، ومشوّه بندوب من معارك فضائية ضارية لا تحصى مع قوى همجية تحت ضوء شموس غير معروفة للبشر.

فُتِح باب وتحطم عبر صالات الطعام في هارودس، دمّر هارفي نيكولز[2]، وأسقط برج حديقة الشيراتون بصرير صارخ أخير لفن العمارة المُعَذَّب.

بعد لحظات طويلة وحاسمة من الانهيارات الداخلية وهدير الآلات المُمَزِّقة، خطا منه، إلى أسفل المنحدر، روبوت فضي هائل، طوله مئة قدم.

---

**(١)** متجر فخم في لندن – المترجم.

**(٢)** متجر ملبوسات فاخرة – المترجم.

رفع يداً وقال: «جئت بسلام،» وأضاف بعد لحظة طويلة من الصرير الإضافي: «خذوني إلى سحليتكم».

بالطبع، كان لدى فورد بريفيكت تفسير لهذا، في حين جلس مع آرثر وشاهد التقارير الإخبارية المتواصلة والمسعورة عبر التلفاز، التي لم يكن بمقدورها سوى الإشارة إلى أن ذلك الشيء قد تسبب بهذا القدر من الضرر الذي يمكن تقديره بذلك الرقم من مليارات الباوندات، وأنه قتل ذلك العدد من الناس، ومن ثم تذيع ذلك مجدداً، لأن الروبوت لم يكن يفعل شيئاً أكثر من وقوفه هناك، يتأرجح على نحو ضئيل، ويصدر رسائل خطأ قصيرة مبهمة.

- «إنه من ديمقراطية قديمة جداً، كما تعلم»...

- «هل تقصد أنه من كوكب سحالٍ؟»

قال فورد، الذي أصبح في هذا الوقت أكثر عقلانية وتماسكاً من السابق بعد أن أُرغِمَ على تجرع القهوة في نهاية الأمر: «لا، لا شيء أكثر بساطة، ولا شيء أكثر استقامة ووضوحاً. على كوكبه الناس أناس عاديون، والقادة سحالٍ. الناس يكرهون السحالي، والسحالي تحكم الناس».

قال آرثر: «غريب، ظننتك قلت إنها ديمقراطية».

قال فورد: «قلتُ ذلك، إنها كذلك».

قال آرثر، متمنياً ألا يكون متبلّداً على نحو سخيف: «إذاً، لم لا يتخلص الناس من السحالي؟»

قال فورد: «بصراحة لم يخطر الأمر في بالهم، كلهم صوتوا، لذا فهم يفترضون أن الحكومة التي صوتوا لها تقارب، على نحو أو آخر، الحكومة التي يريدون».

- «هل تقصد أنهم صوتوا للسحالي حقاً؟»

قال فورد هازّاً كتفيه: «آه نعم، بالطبع».

قال آرثر، مستخدماً السؤال المهم مرة أخرى: «لكن، لم؟»

قال فورد: «لأنهم لو لم يصوتوا لسحلية، فقد تنجح السحلية الخطأ. هل لديك جن[1]؟»

- «ماذا؟»

قال فورد بنبرة من الإلحاح المتزايد اجتاح صوته: «قلت، هل لديك جن؟»

- «سأبحث، أخبرني المزيد عن السحالي».

هزّ فورد كتفيه مجدداً وقال: «يقول بعض الناس إن السحالي هي أفضل ما حدث لهم، وهم بالطبع مخطئون تماماً، مخطئون تماماً وعلى نحو كامل، لكن على أحدهم أن يقول ذلك».

قال آرثر: «إنها، ذلك رهيب».

قال فورد: «اسمع يا صاح، لو أني حصلت على دولار ألتيري في كل مرة سمعت فيها جزءاً من الكون ينظر إلى جزء آخر ويقول: "ذلك رهيب" لم

---

(١) شراب روحي – المترجم.

أكن لأجلس هنا كليمونة تبحث عن الجن، لكني لم أحصل، لذا أنا هنا. في أي حال، لمَ تبدو هادئاً جداً وجاحظ العينين؟ هل وقعت في الحب؟»

قال آرثر: «أجل، هو كذلك،» وقالها بهدوء.

- «وقعت في حب من يعرف أين هي زجاجة الجن؟ هل سأقابلها؟»

قابلها فورد، لأن فينتشيرتش دخلت في تلك اللحظة وبيدها كومة من الجرائد، كانت قد ذهبت إلى القرية لتشتريها. وقفت ذاهلة على الحطام فوق الطاولة، وعلى الحطام من بيتلجوس فوق الأريكة.

قال فورد لفينتشيرتش: «أين الجن؟» وقال لآرثر: «بالمناسبة، ما الذي حلّ بتريليان؟»

قال آرثر بإرباك: «إيه، هذه فينتشيرتش، لم يكن هناك خطب بتريليان، أنت من رآها آخراً».

قال فورد: «آه، نعم، ذهبت مع زيفود إلى مكان ما. أنجبا أولاداً أو شيئاً من هذا القبيل». وأضاف: «في الأقل، أظن أن هذا ما فعلاه. لقد هدأ زيفود كثيراً كما تعلم».

قال آرثر: «حقاً؟» واتجه بسرعة نحو فينتشيرتش ليريحها من المشتريات.

قال فورد: «نعم، في الأقل أحد رأسيه الآن أعقل من طائر الإيمو المُخَدَّر».

قالت فينتشيرتش: «من هذا يا آرثر؟»

قال آرثر: «فورد بريفيكت، لربما ذكرته بشكل مقتضب».

# الفصل السابع والثلاثون

لثلاثة أيام وثلاث ليال كاملة وقف الروبوت الفضي العملاق وهو يباعد بقايا نايتسبريدج[1]، يتمايل قليلاً ويحاول حل عدد من الأشياء.

أتى مندوبون حكوميون لرؤيته، وسأل صحافيون صاخبون إلى جانب الحمولة بعضهم أسئلة على الهواء مباشرة حول رأيهم في كل ذلك، وحاولت الطائرات القاذفة مهاجمته على نحو مثير للشفقة وهي تحلق، لكن لم تظهر أي سحال. تفحّص الأفق ببطء.

في الليل، كان شكله مثيراً للغاية، فقد وُجِّهت إليه الأضواء الكشافة من قِبَل فِرَقِ أطقم التلفزة، الذين غطوا الحدث على نحو متواصل مع استمرار الروبوت في سكونه.

فكّر وفكّر، وفي النهاية وصل إلى نتيجة.

كان يتوجب عليه إرسال روبوتات الخدمة خاصته.

كان عليه أن يفكر في ذلك مسبقاً، لكنه كان يواجه عدداً من المشكلات.

خرجت الروبوتات الصغيرة الطائرة صارخة من البوابة في ظهيرة أحد الأيام في شكل سحابة مرعبة من المعدن. حامت فوق الأرض المحيطة مهاجمة باهتياج بعض الأشياء ومدافعة عن أخرى.

---

(١) ضاحية سكنية في لندن – المترجم.

في النهاية وجد أحد هذه الروبوتات متجر حيوانات أليفة فيه بعض السحالي، لكنه دافع عن متجر الحيوانات الأليفة بسرعة من أجل الديمقراطية، وبهمجية كبيرة، فلم ينجُ في المكان من جراء ذلك سوى القلائل.

أتت نقطة التحول عندما اكتشف فريق متفوق من آلات الصراخ الطائرة حديقة الحيوانات في متنزه ريجينت، وبالتحديد منزل السحالي.

بعد أن تعلمت بعض الحذر من أخطائها السابقة في متجر الحيوانات الأليفة، جلبت الآلات الطائرة والمناشر الدقيقة بعض زواحف الإغوانا الأكبر والأسمن إلى الروبوت الفضي العملاق، الذي حاول إدارة محادثات رفيعة المستوى معها.

في النهاية أعلن الروبوت للعالم أنه بغض النظر عن تبادل وجهات النظر الصريح والشامل، انهارت المحادثات رفيعة المستوى، تقاعدت السحالي، وأنه، أي الروبوت، سيأخذ إجازة قصيرة في أحد الأمكنة، ولسبب ما اختار بورنموث[1].

هزّ فورد بريفيكت رأسه وهو يشاهد الأمر عبر التلفاز، ضحك وتناول زجاجة أخرى من الجعة. أقيمت التحضيرات المباشرة لمغادرة الروبوت.

هدرت الأدوات الطائرة ونشرت وحفرت وقلت أشياء بوساطة الضوء في أثناء النهار وطوال الليل. في الصباح، وعلى نحو مذهل، راح جسر رافعة عملاق متحرك يتحرك غرباً على أكثر من طريق في الوقت نفسه، والروبوت يقف عليه مثبتاً ضمنه.

---

(١) بلدة في إنكلترا – المترجم.

زحف غرباً، كمهرجان غريب ضج حوله خدمه والحوامات وحافلات الأخبار، قطع الأراضي حتى وصل في النهاية إلى بورنموث، حيث حرر الروبوت نفسه ببطء من حضن نظام النقل خاصته وذهب واستلقى على الشاطئ لعشرة أيام.

بالطبع، كان الأمر، من غير منازع، أكثر شيء مثير حصل لبورنموث على الإطلاق.

تجمعت الحشود يومياً على طول المحيط الذي كان مُحدداً ومحروساً على أنه منطقة بعث الروبوت، وحاولت هذه الحشود رؤية ما يفعله.

طافت الزوارق السريعة على طول الشاطئ لترى ما الذي كان يفعله.

لم يكن يفعل شيئاً. كان مستلقياً على الشاطئ، ومنكباً على نحو غريب قليلاً على وجهه.

كان لصحافي من جريدة محلية أن تمكن ذات ليلة من فعل ما لم يتمكن أحد غيره في العالم حتى الآن من فعله، فقد بدأ محادثة قصيرة وواضحة مع أحد روبوتات الخدمة التي تحرس المحيط.

كان إنجازاً استثنائياً.

أفضى الصحافي، وهو يدخن سيجارة مشتركة عبر السياج المعدني قائلاً: «أظن أن هنالك قصة في الأمر، لكنها تحتاج إلى رؤية محلية مناسبة. لدي لائحة من الأسئلة هنا،» وراح ينقب على نحو أخرق في جيب داخلي، وتابع: «ربما يمكنك إقناعه، إقناعها، أياً يكن اسمه، لإلقاء نظرة سريعة عليها».

قال مفك البراغي الصغير الطائر إنه سيرى ما يمكنه فعله، وابتعد مدوّياً.

لم يكن الرد وشيكاً إطلاقاً.

إنما، بطريقة أو بأخرى، وعلى نحو غريب، طابقت الأسئلة المكتوبة على قصاصة الورق الأسئلة التي كانت تجول في دارات دماغ الروبوت الضخمة عالية الجودة والبالية، وكانت تلك الأسئلة:

-«كيف تشعر حيال كونك روبوتاً؟»

-«ما هو شعور المجيء من الفضاء الخارجي؟»

و «هل تعجبك بورنموث؟»

بدأت الأمور تتلملم في وقت باكر من اليوم التالي، وبدا واضحاً في غضون أيام أن الروبوت كان يجهز نفسه للمغادرة من غير رجعة.

قالت فينتشيرتش لفورد: «المهم، هل يمكنك أن تقلنا على سطح سفينة؟»

نظر فورد إلى ساعته محملقاً وهتف قائلاً: «عليّ متابعة بعض الأعمال الخطرة وغير المنتهية».

# الفصل الثامن والثلاثون

احتشد الناس إلى أقرب ما يمكنهم من الطوافة الفضية العملاقة. سُيِّجَ حدها الخارجي المباشر وحرسته روبوتات خدمة صغيرة طائرة، ومن حول هذه الروبوتات راقب الجيش الوضع، حيث لم يتمكن إطلاقاً من اختراق الحد الداخلي، لكنهم لن يسمحوا لأحد باختراقهم. هم أيضاً كانوا محاصرين بنطاق من قوات الشرطة، وبسبب عدم معرفة ما إذا كانوا هناك ليحموا الشعب من الجيش أو الجيش من الشعب، أو لضمان الحصانة الدبلوماسية للسفينة العملاقة ومنع حصولها على مخالفة وقوف، فلقد كانوا محط جدل واسع.

كان سياج الحد الداخلي يُفَكَّك، وتحرك عناصر الجيش على نحو غير مريح وهم غير متأكدين من كيفية الرد على حقيقة أن السبب في وجودهم هناك بدا كأنه يهم ليذهب ببساطة.

تمايل الروبوت العملاق عائداً إلى ظهر السفينة في وقت الغداء، الساعة الآن الخامسة عصراً ولم تصدر عنه بعد أي إشارة أخرى. سُمِعَ الكثير، المزيد من الصرير والقعقعة من داخل الطوافة، موسيقا المليون من حالات العجز الشنيعة، لكن وُلِدَ شعور بالتوقع المتوتر لدى الحشد بسبب أنهم توقعوا بتوتر أن يخيب ظنهم.

أتى هذا الشيء الاستثنائي الرائع إلى حيواتهم، والآن سيغادر ببساطة من دونهم.

شخصان على وجه التحديد كانا على دراية بهذا الشعور. عاين آرثر وفينتشيرتش الحشد بقلق، غير قادرين على إيجاد فورد بريفيكت في أي مكان ضمن الحشد، وغير قادرين على إيجاد أي إشارة توحي بأن لديه نية في الحضور هناك.

سألت فينتشيرتش بصوت غائر: «كم يمكن الاعتماد عليه؟»

سأل آرثر: «كم يمكن الاعتماد عليه؟» وضحك ضحكة عميقة سائلاً: «كم يمكن للمحيط أن يكون ضحلاً؟ كم يمكن للشمس أن تكون باردة؟»

كانت الأجزاء الأخيرة من جسر رافعة الروبوت العملاق تُنقَل إلى ظهر السفينة، وكانت الأقسام القليلة المتبقية من سياج الحد مكدسة أسفل المنحدر بانتظار أن تلحق بجسر الرافعة. انتصب الجنود المتأهبون حول المنحدر على نحو مُعَبِّر، وكانت الأوامر تعطى من كل حدب وصوب، وكانت المؤتمرات المستعجلة تُعقَد، لكن بالطبع لم يكن هناك ما يمكن فعله حيال أيّ مما يحدث.

اندفع آرثر وفينتشيرتش عبر الحشد بيأس، ومن غير خطة واضحة، لكن بما أن الحشد كان يحاول الاندفاع عبر الحشد، ظلّا في مكانيهما.

في غضون بضع دقائق لم يتبقّ شيء خارج السفينة، كل وصلة من السياج كانت على متن السفينة، بدا أن زوجاً من المناشير الدقيقة وميزاناً روحياً يتفحّصون الموقع لآخر مرة، ومن ثم هدروا داخلين عبر البوابة الضخمة.

مرّت بضع ثوان.

تغيرت قوة أصوات الفوضى الميكانيكية من الداخل. وببطء وتثاقل راح المنحدر الحديدي الضخم يرفع نفسه من صالات الطعام في هارودس. الصوت المرافق لذلك كان صوت آلاف الأفعال، أناس مُثارون تم تجاهلهم بالكامل.

صاح بوق من سيارة أجرة توقفت بصخب عند حافة الحشد المهتاج قائلاً: «توقف! هنالك اقتحام علمي كبير». صحح الصوت نفسه: «اكتشاف». فُتِحَ الباب وقفز إلى الخارج رجل صغير من مكان ما إلى جوار بيتلجوس، مرتدياً معطفاً أبيض.

صاح مجدداً: «توقف!» وفي هذه المرة كان يلوّح بقضيب أسود قصير عليه أضواء. أومضت الأضواء على نحو مقتضب، وتوقف المنحدر قليلاً عن صعوده، ثم أطاع الإشارات القادمة من الإبهام (الذي يحاول نصف مهندسي الإلكترون في المجرة باستمرار إيجاد طرائق جديدة لتعطيله، في حين يحاول النصف الآخر باستمرار إيجاد طرائق جديدة لتعطيل إشارات التعطيل) وعاد ببطء إلى الأرض مجدداً.

أخرج فورد بريفيكت بوقه من سيارة الأجرة وراح يصيح في الحشد عبره.

صاح: «أفسحوا المجال، أفسحوا المجال من فضلكم، هذا اكتشاف علمي كبير! أنتَ وأنتِ، أحضرا المعدات من سيارة الأجرة».

عشوائياً، تماماً، أشار إلى آرثر وفينتشيرتش اللذين كافحا للخروج من الحشد واجتمعا حالاً حول سيارة الأجرة.

دوى صوت فورد قائلاً: «حسناً، أريدكم أن تفسحوا مجالاً للمرور، رجاءً، من أجل قطع من المعدات العلمية المهمة، فليهدأ الجميع، كل شيء تحت السيطرة، لا يوجد ما يستحق المشاهدة، إنه مجرد اكتشاف علمي كبير، اهدؤوا الآن، معدات علمية مهمة، أفسحوا في المجال».

متلهفين لهذه الإثارة الجديدة، وسعداء لهذا الإنقاذ المفاجئ من خيبة الأمل، تراجع حشد الناس بحماس وبدؤوا في فتح طريق.

كان آرثر دهشاً قليلاً لرؤية ما طُبِعَ على صناديق المعدات العلمية المهمة في المقعد الخلفي من سيارة الأجرة.

تمتم آرثر لفينتشيرتش وهو يرفع الصناديق إليها «غطيها بمعطفك،» وتمكن بسرعة من إخراج عربة مشتريات ضخمة كانت محشورة أيضاً في المقعد الخلفي. قعقعت عربة المشتريات على الأرض، ومعاً، حمّلا الصناديق فيها.

صاح فورد مجدداً: «ابتعدوا عن الطريق من فضلكم، كل شيء تحت سيطرة علمية حقيقية».

قال سائق سيارة الأجرة لآرثر: «قال إنك ستدفع». فأخرج الأخير بضع أوراق نقدية ودفع له. كان هنالك صوت بعيد لصفارات سيارات الشرطة.

صاح فورد: «ابتعدوا ولن يصاب أحد بأذى». ماج الحشد وأغلق المكان خلفهم مجدداً، وبالاهتياج نفسه دفعوا وسحبوا عربة المشتريات المقعقعة عبر الحطام باتجاه المنحدر.

تابع فورد صياحه: «كل شيء على ما يرام، لا يوجد ما يستحق المشاهدة، انتهى كل شيء، لا شيء من هذا يحدث حقاً».

صاح بوق رجال الشرطة من خلف الحشد: «أفسحوا في المجال من فضلكم، كان هنالك اقتحام، أفسحوا في المجال».

صاح فورد منافساً: «اكتشاف. اكتشاف علمي».

- «هنا الشرطة! أفسحوا في المجال!»

- «معدات علمية! أفسحوا في المجال!»

- «الشرطة! دعونا نمرّ!»

صاح فورد: «مشغلات أشرطة صغيرة!» وأخرج من جيبه نصف دستة من مشغلات الأشرطة المصغّرة ورماها بين الحشد. ما نتج من لحظات فوضى عارمة أتاح لهم في المجال لإيصال عربة المشتريات إلى حافة المنحدر، وسحبها إلى الأعلى على حافته.

تمتم فورد: «تمسكا جيداً،» وأطلق زراً على إبهامه الإلكتروني. اهتز تحتهم المنحدر الضخم وأخذ يشق طريقه إلى الأعلى ببطء.

مع انسحاب الحشد المهتاج من تحتهم وبدئهم بشق طريقهم على طول المنحدر المتمايل إلى حوض السفينة، قال فورد: «حسناً يا أولاد، يبدو أننا انطلقنا».

# الفصل التاسع والثلاثون

كان آرثر دينت منزعجاً من استيقاظه المستمر على صوت إطلاق النار.

نزل بهدوء، كي لا يوقظ فينتشرتش التي كانت لا تزال نائمة على نحو متقطع، عبر باب غرفة الصيانة التي حولوها إلى منامة لهم. تدلى على سلم الوصول، وطاف في الأروقة بكآبة.

كانت الأروقة مثيرة لرهاب الأماكن الضيقة وسيئة الإضاءة. طنّت دارات الإضاءة على نحو مزعج.

إنما، ليس ذلك ما أزعجه.

توقف قليلاً وانحنى إلى الخلف مع مرور مثقب طائر إلى جانبه، متجهاً عبر الرواق المعتم وهو يهدر، ويرن أحياناً على الجدران كنحلة مرتبكة.

إنما، ليس ذلك ما أزعجه أيضاً.

تسلق عبر باب فاصل ووجد نفسه في رواق ضخم. كان يتصاعد دخان لاذع من أحد أطرافه لذا مشى باتجاه الطرف الآخر.

وصل إلى نافذة شاشة مراقبة في الحائط خلف صفيحة من الزجاج المقوى لكنه مخدوش إلى حد بعيد.

طلب من فورد بريفيكت: «هلا خفضت الصوت من فضلك؟» فقد كان الأخير يجثم أمامها في منتصف كومة من أجزاء معدات الفيديو التي أخذها من نافذة متجر في شارع قصر توتنهام، حيث رمى في البداية قطعة قرميد صغيرة على الزجاج، وأيضاً كومة من عبوات الجعة الفارغة.

هسهس فورد قائلاً: «صه!» وحدّق إلى الشاشة بتركيز مهووس. كان يشاهد فيلم السبعة الرائعون.

قال آرثر: «قليلاً فقط».

صاح فورد: «لا! لقد وصلنا للتو إلى الجزء الجيد! اسمع، تمكنت في النهاية من كل شيء، مستويات الفولت، تحويل الخط، كل شيء، وهذا هو الجزء الجيد!»

بتنهيدة وصداع جلس آرثر إلى جانبه وشاهد الجزء الجيد. استمع إلى صيحات الخيبة والفرح التي يصدرها فورد بأكثر ما يمكنه من هدوء.

قال أخيراً، عندما انتهى كل شيء، وكان فورد يبحث في كومة من الأشرطة عن شريط فيلم كازابلانكا: «فورد، لماذا إن»...

قال فورد: «هذا هو المهم، هذا ما عدت من أجله. هل تعلم بأني لم أشاهده كاملاً؟ كنت أفوّت النهاية دائماً. شاهدت نصفه مجدداً في الليلة التي سبقت مجيء الڤوغونيين. اعتقدت عندما فجروا المكان أني لن أشاهده أبداً. هيه، ما الذي حدث في أي حال؟»

قال آرثر: «مجرد حياة». وانتزع عبوة جعة من مجموعة ست علب.

قال فورد: «آه، ذلك مجدداً، اعتقدت أنه شيء من هذا القبيل. أفضل هذا الشيء،» قال مع ظهور مزلاج ريك على الشاشة: «لماذا إن ماذا؟»

«ماذا؟»

«بدأت بقول: 'لماذا إن...'»

«لماذا إن كنت سليطاً جداً تجاه الأرض، فإنك... آه، لا عليك، لنشاهد الفيلم وحسب».

قال فورد: «تماماً».

# الفصل الأربعون

يبقى هناك القليل لقوله.

خلف ما ظلّ يُعْرَف بمجالات ضوء فلانوكس اللامتناهية، حتى تم اكتشاف مسيطرات ساكساكين الرمادية المُقَيِّدة التي تقع خلفها، تقع مسيطرات ساكساكين الرمادية المُقَيِّدة.

يقع النجم المسمى زراس ضمن مسيطرات ساكساكين الرمادية المُقَيِّدة، الذي يدور حوله كوكب بريليومتارن الذي تقع فيه أرض سيڤوربيابستري، وهي الأرض التي وصل إليها آرثر وفينتشيرتش في النهاية متعبين قليلاً من الرحلة.

وفي أرض سيڤوربيابستري وصلا إلى سهل رارس الأحمر العظيم الذي تحده من الجهة الجنوبية جبال كنتولوس كازغار، التي سيجدان على طرفها البعيد، بحسب كلام براك وهو يحتضر، رسالة إله النار، التي ترتفع أحرفها حتى الثلاثين قدماً، إلى مخلوقاته.

إذا لم تخب ذاكرة آرثر، فإن المكان، بحسب براك، يحرسه الڤانتراشيل اللوبي اللاجستي، لذا، بعد ذلك، كان الأمر صحيحاً. لقد كان رجلاً ضئيلاً يرتدي قبعة غريبة، وباعهما تذكرة.

قال: «ابقيا على الجهة اليسرى لو سمحتما، ابقيا على الجهة اليسرى».
وأسرع ماراً بهما على دراجة سكوتر صغيرة.

أدركا أنهما ليسا أول من يعبر ذلك الطريق، لأن الطريق المؤدي إلى خلف الجهة اليسرى من السهل الأحمر العظيم كان بالياً وممتلئاً بالأكشاك. من أحد هذه الأكشاك اشتريا صندوق حلوى، خُبِزَت في فرن داخل كهف ضمن الجبل، كان قد سُخِّنَ بنيران الحروف التي شكلت رسالة الرب الأخيرة إلى مخلوقاته. ومن كشك آخر اشتريا بعض البطاقات البريدية. كانت الحروف قد أُخْفيت ببخاخة، وكُتِبَ على الظهر «كي لا تفسد المفاجأة الكبيرة!»

سألا السيدة القصيرة الهرمة في الكشك: «هل تعرفين ما هي الرسالة؟»

أجابت بصوت حاد مرح: «آه نعم، آه نعم!»

دلتهما إلى الطريق بيدها.

كان هناك كوخ حجري يحتوي حمامات ووحدات صحية كل عشرين ميلاً تقريباً، لكن الدخول كان عسيراً، والشمس المرتفعة لفحت السهل الأحمر العظيم، وتموّج السهل الأحمر العظيم في الحر.

سأل آرثر عند واحد من الأكشاك الكبيرة: «هل من الممكن استئجار واحدة من دراجات السكوتر الصغيرة هذه؟ مثل التي يمتلكها الڤينتراواتسيت اللاجستي؟»

قالت السيدة القصيرة التي كانت تخدّم حول طاولة المثلجات: «دراجات السكوتر ليست للأتقياء».

قالت فينتشيرتش: «حسناً، لا مشكلة في ذلك إذاً، فنحن لسنا أتقياء تماماً. نحن مهتمان فحسب».

قالت السيدة القصيرة بصرامة: «عليكما العودة الآن إذاً،» ولما ترددا، باعتهما زوجاً من قبعات الرسالة الأخيرة الشمسية وصورة فوتوغرافية لهما وهما يحضنان بعضهما على سهل رارس الأحمر العظيم.

شربا زجاجتين من المياه الغازية في ظل الكشك، وبعدها مشيا متثاقلين في الشمس من جديد.

قالت فينتشيرتش بعد أميال عدة: «بدأ ينفد منا الواقي الشمسي، يمكننا الذهاب إلى الكشك التالي، أو العودة إلى السابق الذي هو أقرب، لكن ذلك سيعني أننا سنعيد تقفي خطواتنا».

حدّقا أمامهما إلى البقعة السوداء البعيدة التي كانت تومض في السديم الحار، ونظرا إلى الخلف، واختارا أن يتابعا المسير.

عندئذ، اكتشفا أنهما ليسا أول من يقوم بهذه الرحلة فحسب، بل أنهما ليسا الوحيدين اللذين يقومان بها الآن.

على مسافة منهما كان جسم غريب منخفض يرفع نفسه على نحو بائس على طول الأرض، يتعثر ببطء وعلى نحو مؤلم، يزحف ويعرج في الوقت نفسه.

كان الجسم يتحرك ببطء شديد إلى درجة أنه لم يمض وقت طويل قبل أن يصلا إليه ويريا أنه مصنوع من معدن بال، مندّب وملوى.

أنّ في وجهيهما عندما اقتربا منه، وانهار في الغبار الحار والجاف.

تأوّه قائلاً: «الكثير من الوقت، آه، الكثير من الوقت. والألم أيضاً، الكثير من ذلك، والكثير من الوقت للتألّم أيضاً. قد أستطيع تحمّل أحدهما بمفرده، لكن ما يحبطني هو أنهما معاً. آه، مرحباً، أنت مجدداً».

قال آرثر بسرعة: «مارڤن؟ أهذا أنت؟» وجثم إلى جانبه.

تأوّه الروبوت العجوز المحطم: «لطالما كنت صاحب السؤال الذكي جداً، ألست كذلك؟»

همست فينتشيرتش بقلق وهي جاثمة خلف آرثر ممسكة بذراعه: «ما هذا؟»

قال آرثر: «إنه صديق قديم، أنا»...

نقّ الروبوت بحزن: «صديق!» تلاشت الكلمة في فرقعة جافة من رقائق من الصدأ التي سقطت من فمه. «عليك أن تعذرني في حين أحاول تذكر ما تعنيه الكلمة. صفوف الذاكرة لدي ليست كسابق عهدها كما تعلم، وأي كلمة لا تُستَخدم لزلايين عدة من السنين تنتقل إلى الذاكرة الاحتياطية. آه، ها هي ذي».

ارتفع رأس الروبوت المشوه قليلاً كأنه يفكر.

قال: «يا له من مفهوم».

فكر قليلاً وقال أخيراً: «لا، لا أعتقد أنني مررت بمفهوم كهذا، آسف، لا أستطيع مساعدتك في ذلك».

كشط ركبته في الغبار على نحو مثير للشفقة، ومن ثم حاول أن يلوي نفسه إلى الأعلى على مرفقه المشوّه.

سأل بنوع من القعقعة العميقة: «هل هناك أي خدمة تريدني أن أؤديها لك؟ قد تكون قطعة من الورق تودني أن أرفعها لك؟ أو قد تريدني أن أفتح باباً؟»

تحرك رأسه دائرياً ضمن اتجاهات رقبته الصدئة وبدا أنه يمسح الأفق البعيد.

قال: «لا يبدو أن هناك أي أبواب حالياً، لكني متأكد من أننا لو انتظرنا وقتاً كافياً، فإن أحدهم سيبني باباً عندها،» وقال ببطء وهو يدير رأسه ليرى آرثر مجدداً: «يمكنني أن أفتحه لك، أنا معتاد على الانتظار كما تعلم».

هسهست فينتشيرتش في أذنه بحدّه: «آرثر، لم تخبرني بهذا من قبل. ما الذي فعلته بهذا المخلوق البائس؟»

قال آرثر مؤكداً: «لا شيء، هو دائماً هكذا»...

قاطعه مارڤن قائلاً: «ها! ها! ما الذي تعرفه عن "دائماً"؟ تقول لي "دائماً"، وأنا، بسبب المهام التافهة التي لا تتوقف أشكال الحياة العضوية

خاصتكم عن إرسالي فيها عبر الزمن، أصبحت الآن أكبر من الكون نفسه بسبع وثلاثين مرة. اختر كلماتك بعناية أكبر،» وسعل مضيفاً: «وبدقة».

استمر بالإزعاج في أثناء نوبة من السعال وتابع قائلاً: «اتركاني، تابعا، اتركاني أكافح بألم على طريقي، فلقد اقتربت ساعتي، وشارف سباقي على الانتهاء، وأنا شبه متأكد،» وأشار إليهما بضعف بإصبع مكسور: «من أني سأكون الأخير. سيكون ذلك مناسباً. ها أنا ذا بدماغ بحجم»...

قال آرثر: «اخرس».

حملاه بينهما على الرغم من اعتراضاته الضعيفة وإهاناته. كان المعدن حاراً إلى درجة أنه كاد يقرّح أصابعهما، لكن وزنه الآن كان خفيفاً على نحو مفاجئ، وتعلق رخواً بين ذراعيهما.

حملاه معهما على طول الطريق الممتد على طول الجانب الأيسر من سهل رارس الأحمر العظيم باتجاه جبال كينتولوس كازغار الجنوبية المحيطة.

حاول آرثر أن يشرح الأمر لفينتشيررتش لكن مارڤن كان يقاطعه دائماً بأحاديثه الاصطناعية الحزينة.

حاولا معرفة إن كان بإمكانهما الحصول على قطع تبديل لمارڤن في أحد الأكشاك، وبعض الزيت المهدئ، لكن مارڤن لم يتقبل أياً منها.

قال بنبرة رتيبة: «كلني قطع تبديل».

وتأوّه: «دعوني وشأني!»

ناح قائلاً: «تبدل كل جزء مني خمسين مرة في الأقل، باستثناء»... بدا متفائلاً قليلاً جداً لوهلة. تمايل رأسه بينهما من محاولة الذكرى. قال في النهاية لآرثر: «هل تذكر أول مرة قابلتني فيها، كانت منوطة بي مهمة إيصالك إلى منصة ربان السفينة؟ ذكرت لك أن ألماً فظيعاً ألمّ بجميع أنصاف نواقل الجزء الأيسر من جسمي؟ وأنني طلبت بأن يتم تغييرها لكن لم يحصل ذلك؟»

توقف لفترة طويلة نسبياً قبل أن يتابع. حملاه بينهما، تحت الشمس الحارقة التي لم تبد أنها تتحرك، فما بالك أن تغرب.

قال مارڤن عندما قرر أن التوقف أصبح محرجاً على نحو كاف: «لنرَ إن كنت تستطيع أن تخمن أي أجزاء فيّ لم تتبدل. هيا، حاول أن تحزر».

ثم أضاف: «آخ، آخ، آخ، آخ».

وصلا في النهاية إلى آخر كشك من الأكشاك الصغيرة، ووضعا مارڤن بينهما، وارتاحا في الظل. اشترت فينشيرتش رباطات أكمام لراسل، فيها حصى ملمّعة مأخوذة من جبال كينتولوس كازغار، من تحت أحرف النار مباشرة التي كُتبت بها رسالة الرب الأخيرة إلى خلقه.

قلّب آرثر عبر كراسات تعبدية على رف صغير فوق الطاولة، وتأملات صغيرة عن معنى الرسالة.

قال لفينتشيرتش، التي أومأت برأسها: «مستعدة؟»

رفعا مارڤن بينهما، ودارا حول قاعدة جبال كينتولوس كازغار، وهناك كانت الرسالة مكتوبة بأحرف ملتهبة على طول قمة الجبل. كان هنالك موقع مراقبة مع سياج مبني على قمة صخرة كبيرة، حيث يمكنك

الحصول على رؤية جيدة. وكان في نقطة المراقبة تلسكوب مأجور للنظر إلى الأحرف بدقة، لكن لم يستخدمه أحد لأن الأحرف كانت تحترق بتألق رباني باهر، ولو نظرت إليها من تلسكوب فإنها قد تسبب ضرراً جسيماً لشبكية العين والعصب البصري.

حدّقوا إلى رسالة الرب الأخيرة إلى خلقه بذهول، وببطء، وعلى نحو يفوق الوصف ملئوا شعوراً بالسلام، وبالفهم التام والنهائي.

تنهدت فينتشيرتش قائلة: «نعم، هذه هي».

استمرا في التحديق مدة عشر دقائق كاملة قبل أن يدركا أن مارڤن، المعلق بين كتفيهما، يعاني.

لم يكن بوسع الروبوت أن يرفع رأسه، ولم يكن قد قرأ الرسالة. رفعا رأسه، لكنه اشتكى من أن دارات الرؤية لديه ضعيفة جداً.

وجدا قطعة نقدية وساعداه ليصعد إلى التلسكوب. اشتكى منهما وأهانهما، لكنهما ساعداه لينظر إلى كل حرف على حدة. كان الحرف الأول «ن،» والثاني «ح،» و«ن». ومن ثم كان هنالك فراغ. تبعه حرف «ن،» ومن ثم «ع،» و«ت».

توقف مارڤن ليأخذ قسطاً من الراحة.

بعد لحظات عدة تابعا، وجعلاه يرى «ذ،» و«ر».

الكلمة التالية كانت «عن» أما الأخيرة فكانت طويلة واحتاج مارڤن إلى استراحة أخرى قبل أن يتمكن منها.

بدأت بـ «ا،» ثم «ل» بعدها «إ» و«ز» متبوعة بـ «ع» و«ا» و«ج».

بعد توقف أخير، استجمع مارڤن قواه من أجل القسم الأخير. وبعد أن انتهى منه ترنح من ذراعيه.

همس في النهاية من صدره الصدئ المقعقع:« أظنني أشعر بالارتياح حيالها».

انطفأت الأضواء من عينيه للمرة الأخيرة على الإطلاق.

لحسن الحظ، كان هنالك كشك في مكان قريب حيث يمكنك استئجار دراجة سكوتر من أشخاص بأجنحة خضراء.

# فهرس

الصفحة

## الجزء الرابع


**إلى اللقاء، وشكراً لأجل كل السمك ..... ٥**

مقدمة ..... ٧

الفصل الأول ..... ٩

الفصل الثاني ..... ١٣

الفصل الثالث ..... ١٧

الفصل الرابع ..... ٢١

الفصل الخامس ..... ٢٧

الفصل السادس ..... ٤٧

الفصل السابع ..... ٥٣

الفصل الثامن ..... ٦٣

الفصل التاسع ..... ٦٧

الفصل العاشر ..... ٧٣

الفصل الحادي عشر ..... ٧٩
الفصل الثاني عشر ..... ٨٧
الفصل الثالث عشر ..... ٩٩
الفصل الرابع عشر ..... ١٠٣
الفصل الخامس عشر ..... ١٠٥
الفصل السادس عشر ..... ١٠٧
الفصل السابع عشر ..... ١١٣
الفصل الثامن عشر ..... ١١٧
الفصل التاسع عشر ..... ١٢٥
الفصل العشرون ..... ١٢٩
الفصل الواحد والعشرون ..... ١٤٧
الفصل الثاني والعشرون ..... ١٥١
الفصل الثالث والعشرون ..... ١٥٧
الفصل الرابع والعشرون ..... ١٦١
الفصل الخامس والعشرون ..... ١٦٧
الفصل السادس والعشرون ..... ١٧١
الفصل السابع والعشرون ..... ١٧٧

الفصل الثامن والعشرون ..... ١٨٣
الفصل التاسع والعشرون ..... ١٨٧
الفصل الثلاثون ..... ١٨٩
الفصل الواحد والثلاثون ..... ١٩٣
الفصل الثاني والثلاثون ..... ٢٠٣
الفصل الثالث والثلاثون ..... ٢٠٥
الفصل الرابع والثلاثون ..... ٢٠٧
الفصل الخامس والثلاثون ..... ٢٠٩
الفصل السادس والثلاثون ..... ٢١٧
الفصل السابع والثلاثون ..... ٢٢١
الفصل الثامن والثلاثون ..... ٢٢٥
الفصل التاسع والثلاثون ..... ٢٣١
الفصل الأربعون ..... ٢٣٥
الفهرس ..... ٢٤٥

## دوغلاس آدامز (١٩٥٢-٢٠٠١)

- كاتب بريطاني وروائي؛
- عمل في هيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C)
- من أعماله المؤلفة:

* وكالة ديرك جنتلي للتحقيقات الشمولية، ١٩٨٧

**علي ريشة**

- مترجم سوري؛
- من أعماله المترجمة:
  * أبناء أودن

٢٠٢٢م